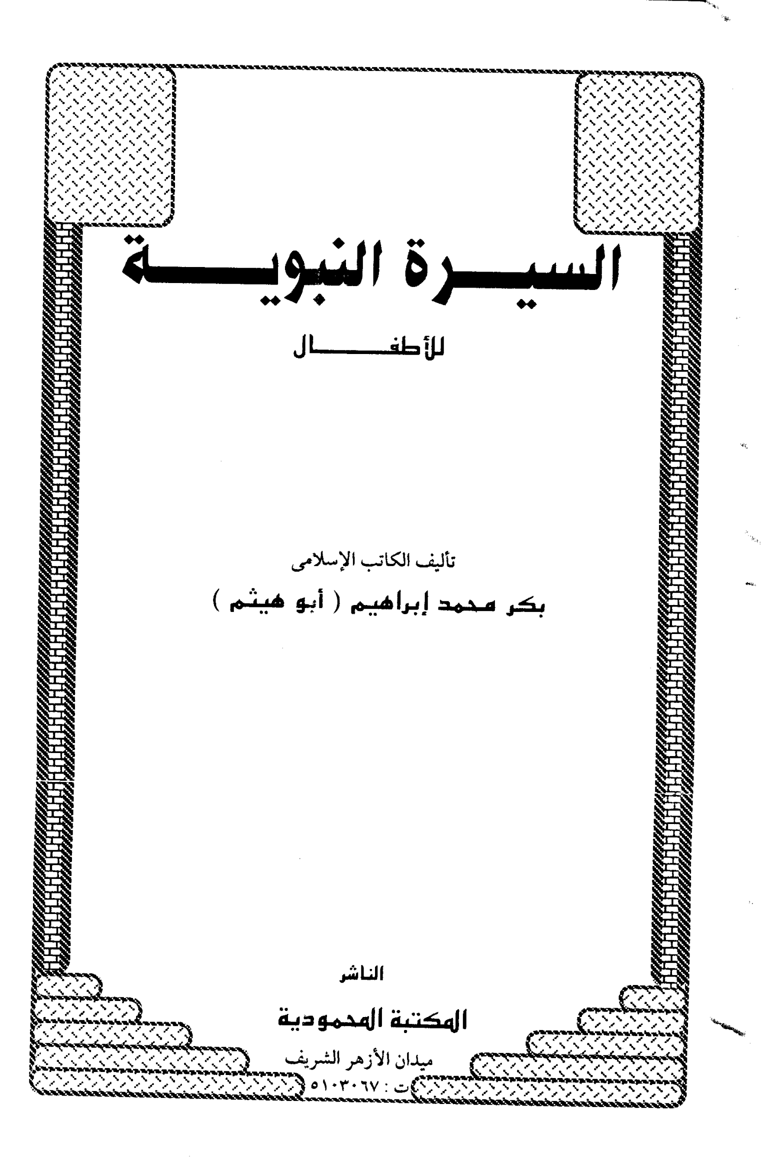


السيـــرة النبويـــة

للأطفـــال

تأليف الكاتب الإسلامى

بكر محمد إبراهيم (أبو هيثم)

الناشر

المكتبة المحمودية

ميدان الأزهر الشريف

ت : ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع ١٣٣٥٨ / ٢٠٠٠

دار البيان للطباعة
تليفون وفاكس : ٢٩٦٧١٨٨

★ المقدمة ★

الحـمد لـله الذي أرسل رسولـه بالهدى وديـن الحق ليظهـره على الدين كله والصلاة والسلام على خير المرسلين إمام الغر المحجلين .

أشهد أن لا إله إلا الله لا ند له ولا وزير ولا مـشير وأشهد أن محـمدًا عبده ورسوله البشير النذير .

وبعد

هذا السفر الجليل يروي سـيرة النبي ﷺ للأطفال وسيـرة النبي ﷺ هى خير السير ،فهو سيد ولد آدم وخاتم النبيين وإمام المرسلين .

أرسله ربه للإنس والجان وجعل أمته خير الأمم وكتابه أعظم الكتب ، وجعل معجزته الكبرى هى القرآن الكريم .

فهـو حبل الله المتين والصراط المسـتقيم من تركه مـن جبار قصـمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم .

قال تعالـى في سورة الأحزاب : ﴿ **يا أيها النبي إنـا أرسلناك شاهدًا ومبـشرًا ونذيرًا وداعـيًا إلى الله بإذنه وسـراجًا منيرًا وبـشر المؤمنين بأن لهـم من الله فضـلاً كـبيـرًا ولا تطع الكافـرين والمنافـقين ودع أذاهم وتوكـل عـلى اللـه وكـفـى باللـه وكيلاً** ﴾.

وقال تعـالى في سورة المائدة : ﴿ **يا أيهـا الرسول بلغ مـا أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

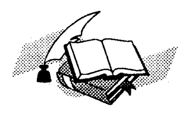
وقال ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

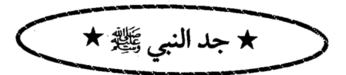
فمع السـيرة العطرة والأسوة الحـسنة والقدوة الطيبـة مع معلم البـشرية النبي

الأمي صلوات ربي وسـلامه عليـه منذ مولده مـرورًا بهجـرته وجهاده وفـتح مكة وإرسال السـرايا واستـقبـال الوفود وحجـة الوداع ثم وفاته ﷺ . نفع الـله بهذه السيـرة أطفالنا الأحبـاء وجعل ما كتـبناه في ميزان حـسناتنا وجعله خالصًا لوجـهه الكريم .

المؤلف : الكاتب الإسلامي

الشيخ / بكر محمد إبراهيم





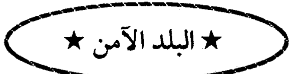
★ جد النبي ﷺ ★

بني العزيز

أهدى فرعون مصر إلى إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء هاجر عليها السلام فأسلمت وحسن إسلامها ، ولم يكن رسول الله إبراهيم قد رزق بعد بأولاد من السيدة سارة ابنة عمه وهي التي أشارت عليه بالزواج من هاجر لعل الله يرزقه منها بولد . . وقد كان وحملت هاجر بإسماعيل عليه السلام جد النبي ﷺ وقد كان إسماعيل رسولاً نبيًا وقد مدحه الله تعالى وأثنى عليه في القرآن الكريم .

أمر الله تعالى نبيه إبراهيم أن يتوجه إلى برية فاران (صحراء مكة) ومعه زوجه هاجر وولده إسماعيل إلى هذا المكان القفر الذي لا زرع فيه ولا ماء . وترك إبراهيم زوجته هاجر وولدها الرضيع إسماعيل في هذا المكان بأمر ربه .وقد زودها بجراب من تمر وقربة ماء . فسألته كيف تتركنا يا إبراهيم في هذا المكان فلم يرد عليها فقالت له : آلله أمرك بهذا؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا .

وهذا يدل على شدة إيمانها وعظيم ثقتها بالله عز وجل . قال تعالى : **﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾** [إبراهيم: ٣٧] .وبعد فترة من الزمن نفد ما مع هاجر من زاد - طعام وشراب - ، وبدأت تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن الطعام والشراب لطفلها الرضيع الذي أحس بالجوع والعطش وبعد الشوط السابع ، وبعد أن كلت (تعبت هاجر) وجدت الماء ينبع من تحت قدمي طفلها الحبيب ، وتجري هاجر إلى الماء فرحة مسرورة شاكرة لله رحمته وعنايته تجرف بيديها الرمال تحجر على الماء وتقول : زمي زمي . فكانت هذه بئر زمزم المباركة التي أخذ يستق منها الناس والحجيج حتى يومنا هذا . يقول الرسول ﷺ عن ماء زمزم : « **ماء زمزم لما شرب له** » . وأوصى الرسول ﷺ من يشرب من ماء زمزم أن يتضلع أي يشرب حتى يرتوي .



★ البلد الآمن ★

ومرت قـافلة من الأعراب من قـبيلة جـرهم إلى هذا المكان المبارك فـشاهدوا الطير تحط على هذا المكان الذي كانوا يعهدونه قفرًا خاليًا من الماء فعرفوا أنه أصبح فيه ماء ، فنزلوا في هذا المكان بعد أن استأذنوا من أم إسماعيل عليه السلام فأذنت لهم . وهكذا نشأ مـجتمع جـديد وبلد آمن في هذا المكان القفر وتحـقق وعد الله تعـالى لإبراهيم عليـه السلام واسـتجـاب دعوته ورزق أهلـه من الثمـرات لعلهم يشكرون وأهوى إليهم أفئدة ، أي ساق إليهم ناسًا يعـمرون المكان ويحبون الإقامة فيه .



★ الذبيـــــح ★

ومرت الأيام والسنون وإسـماعيل يشب ويكبـر حتى أصبح غـلامًا ناضجًا . وكان يرعى الأغنام ويصطاد الخيول والحيوانات البرية وتعلم فنون القتال .

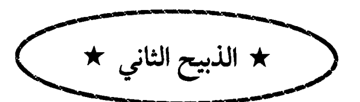
وفي يوم من الأيام وبعد أن بلغ إسـماعيل عليه السلام مـبلغ السعي رأى نبي الله إبراهيم عـليـه السـلام رؤيا تكررت في ثلاثة أيام ، قـال تـعـالى على لسـان إبراهيم: ﴿ **يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ [الصافات : ١٠١] .

وتوجه وإسـماعـيل عليهـما السـلام إلى الصحـراء ومعـه المدية (السكين) وأسلما وجـههمـا إلى الله تعالى قـال عز وجل : ﴿ **فلمـا أسلما وتله للجـبين** ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي وضع وجهه على الأرض وفوضا أمرهما إلى الله تعالى وعزما عزمًا أكيدًا على تنفـيذ أمره . . هنا أدركتهما رحـمة الله وعنايته وحفظه . . ونزل جبريل عليه السلام ومعه كبش (خروف) أبيض سمين ووضعه تحت السكين وأمر

إبراهيم عليه السلام أن يذبح الكبش فداءً لابنه وهذا هو الفداء العظيم والفداء هو البدل ﴿ **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا** ﴾ [الصافات: ١٠٣] .

وعاش إسماعيل في مكة ونبأه الله تعالى وكلفه بالرسالة أي جعله رسولاً نبيًا، وتزوج فكان من نسله رسولنا الكريم ﷺ ، وهكذا اصطفى الله نبيه من خير الأصلاب وأطهر الأرحام .

«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشًا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» .



★ الذبيح الثاني ★

وتمر القرون حتى ينذر عبد المطلب جد النبي ﷺ إن رزقه الله تعالى عشرة من الولد الذكور أن يذبح واحدًا منهم تقربًا إلى الله وذلك لما نازعته قريش على ملكية بئر زمزم التي حفرها بأمر من الله تعالى برؤيا رآها في المنام : احفر المضنونة احفر طيبة احفر زمزم . رؤيا رآها وتكررت على مدى ثلاثة أيام ودل في المنام على مكانها ، وذهب عبد المطلب وزعماء قريش يحتكمون إلى كاهنة في الشام ونفد الماء حتى كادوا يهلكوا ثم أمرهم عبد المطلب بالحفر ونبع الماء من حفرة عبد المطلب فرجعوا عن منازعته وعادوا ولم يحتكموا . ومرت الأيام واستجيب لعبد المطلب فرزق عشرة من الولد الذكور غير الإناث.

وأراد عبد المطلب أن يفي بنذره فأجرى القرعة على أولاده بعد أن جمعهم فوقعت القرعة على عبد الله والد النبي ﷺ ليذبح فأجراها ثانية وثالثة وهي تخرج على عبد الله .

فأراد أن يذبحه ويفي بنذره فوقف له أخوال عبد الله وكبار القوم من قريش وقالوا له لو فعلت ذلك يا عبد المطلب لصارت سنة (طريقة) واقتدى الناس بك

وذبحوا أولادهم فقـال لهم لا بد من الوفاء بالنذر فاقـترحوا عليه أن يجـري قرعة على ولده في مـقابل عشـرة من الإبل في كل مرة وكـانت هذه مشورة كـاهنة من الكهان .

وكانت القرعة وهي سهام يضربونهـا في القداح ، وكانت القرعة في كل مرة تخرج على عبد الله حتى إذا وصلت الإبل إلى مائة فـأعاد القرعة ثانية وثالثة وهي تخرج على الإبل ، فذبحها بدلاً من ولده . وهكذا سمي عبد الله بن عبد المطلب الذبيح الثاني . إلا أنه فدي من الذبح كما فدي من قبل جده إسماعيل .

وكان عبد الله أحب أبـناء عبد المطلب إلى قلبه ، وكان فتى جـميلاً يبدو في وجهه نـور مشرق ، وكانت فـتيات قريش ترغب في الزواج منه ويتـعرضن له في الطرقات ، ولكن عبد المطلب كان قد اخـتار لابنه فتاة ذات حسب ونسب هي آمنة بنت وهب . . . ودعـي الناس لحـفل الزواج . . وتم هذا الزواج المبـارك . . . وهكذا انتـقل النور من وجهـه إلى رحم زوجتـه آمنة التي حـملت بالمصطفى ﷺ سيد العالم ورسول رب العالمين .

★ وفاة عبد الله ★

بعد أن حملت آمنة بنت وهب . مضت ثلاثة شهور وخرج عبد الله في قافلة تجارية في رحلة الصيف إلى الشام كمـا كانت عادة التجار من قريش . . وفي أثناء رجوعه مع القافلة أصيب بمرض مـفاجئ ، فأنزلوه في ديار أخواله « بني النجار » بالمدينة (يثرب) وهناك وافاه الأجل .

وعلم عبد المطلب بخبر موت عبد الله فحزن حزنًا شديدًا لأنه كان يحبه كثيرًا كما أسلفنا ، كما حزنت آمنة زوجته .

ومرت الأيام وآمنة تتـرقب الحمل ، وكانت ترى في المنام من يقـول لها إنك حملت بسيد هذا العـالم ويقول لها إذا وضعت مولودك فقـولي أعيذه بالواحد من

شر كل حاسد وسميه محمدًا . وكانت ترى كأنه خرج من بطنها نور أضاء المشارق والمغارب وكانت لا تجد لحمله ألمًا ولا ثقلاً كما هي عادة النساء أن يشعرن بمتاعب شديدة أثناء الحمل والوضع .

★ ولادة البشير النذير ﷺ ★

كانت آمنة تعيش في بيت متواضع في مكة وكانت حزينة على موت زوجها ولكنها كانت سعيدة بحملها وترقب ولادته وكذلك كان عبد المطلب جده ينتظر المولود ويرى فيه عوضًا عن عبد الله وكان يتمنى أن يكون ذكرًا .

وعلى أكثر الروايات أنه في فجر يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل وضعت آمنة حملها « ذكرًا » وأسرع أحد العبيد يبشر عبد المطلب وهو جالس عند الكعبة وحوله كبراء قريش وهو يقول له أبشر يا سيدي فقام عبد المطلب وقال له : ما وراءك ؟ قال : آمنة وضعت حملها يا سيدي .

قال عبد المطلب : ذكرًا أم أنثى ؟

قال : بل ذكرًا يا سيدي .

وهنا تهلل وجه عبد المطلب بشرًا وسعادة وهو يقول لمن حوله من سادات قريش أشيروا علي . . ماذا أسميه ؟

فاقترحوا عليه أسماء من أسماء الجاهلية . ولكن عبد المطلب كان يسمع هاتفًا يهتف في أذنه ويقول له :

سمه محمدًا ، سمه محمدًا ، ليكون محمودًا في الأرض والسماء .

فقال عبد المطلب وقد استجاب لهاتف الملائكة : سميته محمدًا .

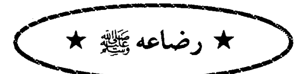
فتعجب الناس من حوله لأنهم لم يكن لهم عهد بهذا الاسم .

ودخلت الفرحة إلى بيت آمنة وتوافدت الملائكة عليها من كل جانب فرحة

بميلاد أسعد الخلق وسيد الكائنات، النور الذي اصطفاه الله وجعله رحمة للعالمين .

ولد المصطفى مسرورًا[1] مختونًا ، ونزل على الأرض ساجدًا ثم رفع بصره إلى السماء .

ويدخل عبد المطلب إلى بيت آمنة ويحمل الطفل المبارك سعيدًا تسيل دموعه على لحيته من شدة الفرح وتذكر ابنه عبد الله والد الطفل فاختلطت فيه مشاعر الفرح بولادة حفيده والحزن على فقد ابنه الحبيب وتقول آمنة لعبد المطلب : بماذا سميت ابنك؟ فيقول : محمدًا ، ويأمر الجد بأن يحاط محمد بأشد العناية والرعاية ، ثم يحمله إلى الكعبة ويطوف به يعيذه بالله من شر كل حاسد .



★ رضاعه ﷺ ★

كان من عادات العرب أن يبعثوا بأطفالهم بعد ولادتهم بقليل إلى الصحراء مع المرضعات ، ليتربى الأطفال في البادية على السكينة والخشونة . . حيث الهواء الطلق والجو الصحي والبيئة النظيفة . وكانت المرضعة تتقاضى أجرًا من والد الطفل مقابل إرضاعه وتربيته .

ولما نزلت المرضعات مكة ، عرضت آمنة ابنها محمد على المرضعات ، فكن يعرضن عنه ليتمه لقلة ما يتوقعن من عطاء . . . إلا حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب فقد مال قلبها إلى هذا اليتيم وكلمت زوجها فوافقها على ذلك بعد أن كانت مترددة ، وكانت ترجو البركة من وراءه وقد كان وصدق ظنها .

❊ ❊ ❊

(١) مسرورًا : أي مقطوع الحبل السرى ومربوط .

أحوال العالم قبل ميلاد النبي ﷺ

كان العرب رغم ما يتحلون به من صفـات طيبة مثل الكرم والمروءة والشهامة والنجدة وخدمـة حجاج البيت الحـرام وسدانة الكعبة أي القـيام على أمرها . إلا أنهم كانت متفـشية (شائعة) فيهم عـادات قبيحة ، وخصال مـذمومة ، وأشدها قبحًا وأكثرها جرمًا الشرك بالله المتمثل في عبادة الأصنام حيث كانوا ينصبون حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنمًا يسجدون لها ويعفرون وجوههم تحت أقدامها ويقربون لها النذور والقـرابين ،وكان الذي أدخل فيـهم عمرو بن لحي زعـيم قبيلة خـزاعة حيث أتى لهم بصنم من الشام يسمونه هبل ، وغيروا في دين إبراهيم عليه السلام وشرعـوا شرائع ما أنزل الله بهـا من سلطان (أي ما جـعل لهم بها حجـة) مثل الوصيلة والسائبة والبحيرة والحام من الإبل والغـنم كانوا يطلقونها ولا ينتفعون بها بتبريرات سـاقطة اخترعوها من عند أنفـسهم . وكان بعضهم يأكل الميـتة ، وكانوا يشربون الخـمر ويعتـدون على الضعفـاء بالإغارة وسلب الأموال وسـبي (أسر) النساء والأطفال وكانوا يضربون القداح (السهام في الأقداح) وكانوا يأتون الكهنة والعرافين وينقادون لأحكامـهم وكانوا يسيئون معـاملة العبيد وكان كثـير منهم يئد البنات أحياء أي يدفنوهن في الرمال تخلصًا من الإنفاق عليـهن أو خشية العار كما يزعمون .

وكانت الأحوال في فارس قد أفضت إلى الظلم والاستبداد واستئثار الكـبراء بالثروات ، وعبادة الشيطان ، وعبادة النار . وكذلك كان نظام الطبقات متفشيًا في كل البلاد وكـان الشرك عـامة في كل أرجـاء العالم حـتى أهل الكتاب وقـعوا في الشرك .

وكان الضعفاء المظلومون يتطلعون إلى من يخلصهم من هذه الأوضاع الجائرة (الظالمة) .

★ عودة إلى بدء ★

بركات محمد ﷺ :

كانت حليـمة وزوجهـا فقيـرين وكانت أتانهـا عجفـاء وناقتهـا شحيـحة الدر (الحلب) وكانت شياههما (الماعز والخراف) عجفاء هزيلة (نحيفة) قليلة اللبن فلما حملت محمدًا إلى ديارها حلت فيها البركة .

أسرعـت بها أتانهـا (أنثى الحمـار) وسبـقت سائر النسـاء وامتـلأت ضروع مواشيهـا وناقتها باللبن وامتلأ كـذلك ضرعها باللبن ، وسمنت مواشـيها ، وفاض الخيـر عليها وعـلى زوجها وأولادها فكان الناس يتـعجـبون لما جرى لهـذه الأسرة الفقـيرة من غنى وبحبـوحة في العـيش وسعة الرزق ، وكـان كل ذلك من بركات المصطفى ﷺ .

وعادت حليمة إلى آمنة تحمل محمدًا بعد أن قضى معها سنتي الرضاع وكانت أسعد أيام حياتها وحياة أسرتها .

وما أن رأى عبد المطلب محمدًا حـتى حمله في بهجة وسرور وطاف به حول الكعبة .

وما أن رأت آمنة ابنها الحبيب محمدًا وقد ترعرع حتى تعلقت به فرحة سعيدة فقد علق به قلبها وكانت تنتظر بفارغ الصـبر أن يعود إليها ويتم رضاعه وفطامه . . ولكن حليمة طلبت وألحـت على آمنة إبقاء محمد مـعها فترة أخرى فـوافقت بعد تردد ووافق عبد المطلب .

ورجعت حليـمة ومعها مـحمد مرة أخـرى إلى مضاربها ومـا أن رآها زوجها وأخته الشيماء (من الرضاع) حتى فرحا به وسعدا برجوعه إليهم .

★ حادثة شق صدره ﷺ ★

ولما بلغ محمد الرابعة من عمره، وبينما هو يلعب مع الأطفال في الصحراء ويجري معهم وكانت معه أخته من الرضاع الشيماء .. رأت منظرًا أفزعها ، فجرت مسرعة إلى أمها وقالت لها :

أدركي محمدًا .

قالت حليمة : ماذا أصابه؟ وقبل أن ترد جرت حليمة مسرعة حيث وجدا محمدًا واقفًا يعلوه الاصفرار ، ويرتجف خائفًا .

فقالت له : ما بك يا محمد؟

قال لها :بينما ألعب مع الصبيان إذ تقدم مني رجلان جميلان يلبسان ثيابًا بيضاء .. فأخذاني وأضجعاني وشقا صدري وأخرجا منه شيئًا أسود صغيرًا ثم غسلا قلبي من طست معهما من ذهب ومسحا صدري .

وأخذت حليمة الدهشة وأمسكت بمحمد تتحسس جسده وخاصة صدره فلم تجد فيه أثر جرح فأخذت محمدًا ورجعت إلى خيمتها وهي حائرة من هذا الأمر وقد أفزعتها هذه القصة ، وخافت عليه أن يصيبه مكروه ، وما أن أشرقت شمس الغد إلا وحملت حليمة محمدًا ورجعت به مسرعة إلى جده وأمه بمكة وطلبت منهما أن يأخذا محمدًا .

وما كان أشد عجب آمنة ودهشة عبد المطلب ، لماذا؟ وهي التي كانت حريصة على بقاءه معها لأطول فترة ممكنة وهي التي ألحت عليهما ليسمحا لها بأخذه إلى مضارب أهلها ليشب في صحة وعافية . وسألت آمنة حليمة عن سبب هذا التغيير وبعد أن كررت عليها السؤال روت لها ما حدث .

وعاش محمد مع أمه تغذوه بحنانها وعطفها وعبد المطلب يحنو عليه ويحمله

معه إلى الكعبة أو يرسل عبدًا ليأتي به من عند أمه إلى حيث يجلس مع أبناءه ولاحظ القوم أن عبد المطلب يحب محمدًا أكثر مما يحب أولاده ويقربه إليه أشد القرب لتعلق قلبه به .

★ وفاة السيدة آمنة والدة النبي ﷺ ★

رغبت السيدة آمنة بنت وهب في زيارة أهلها بني النجار أخوال محمد بالمدينة. فأخذت معها ابنها محمدًا ، وهناك مكثت أيامًا في زيارتهم وأحسنوا لقاءهم وسروا بهما غاية السرور وعطفوا على محمد ابن أختهم اليتيم ، ورحبوا بأختهم الأرملة التي فقدت زوجها بعد شهور من الزواج .

وقضيت الزيارة وأثناء عودتهم في طريقهم إلى مكة وبينما هي وطفلها محمد في الطريق عند منطقة الأبواء كانت المحنة والابتلاء العظيم الذي أصاب محمد اليتيم إذ مرضت أمه واشتد بها الألم ثم ماتت . كان محمد وقت أن توفيت أمه في السادسة من عمره فجمع له بين وفاة الأب ووفاة الأم . وبكى محمد أمه الحنون التي كان في أشد الحاجة إليها وإلى عطفها وحنانها .

ولما علم عبد المطلب جد النبي ﷺ بالخبر حزن كثيراً واشتد عطفه ورعايته لمحمد وتألم أشد الألم لما أصابه وهو ما زال طفلاً صغيراً .

كان عبد المطلب سيد قريش له الكلمة المسموعة ، محبوبًا ، بالغ الهيبة ، وله كثير من المنزلة في القلوب ، صاحب مآثر وفضائل كثيرة على العرب ، وكان سادة قريش يجلسون حول عبد المطلب عند الكعبة في وقت فراغهم وكان يقرب محمداً ويجلسه معه وحوله أبناؤه وأصدقاؤه ، هذا وقد أحب الناس محمداً من أعماق قلوبهم لما رأوا من حب عبد المطلب له بحب أودعه الله تعالى في قلوب الناس لمحمد . ولما كبر ومرت الأيام بدأت تظهر خصاله الطيبة وأخلاقه الحميدة حيث عرف بالصادق الأمين .

★ في كفالة عمه عبد المطلب ★

ثم كان الابتلاء الثالث . . فما كاد محمد يصل إلى سن الثامنة من عمره إذ به يفقد جده الحنون الذي كان يكفله .

وكان عبد المطلب قد أوصى ابنه أبا طالب برعاية محمد من بعده وتقدم أبو طالب يعلن كفالته لمحمد وضمه مع أولاده الكثيرين ورغم أنه كان غير ميسور الحال . . وبدخول محمد إلى بيت عمه حلت فيه البركة والسعادة .

ووجد محمد في بيت عمه السعادة والرعاية الكاملة فتعلق قلبه بعمه وأصبح ملازمًا له ، وكان الناس يعلمون حب أبي طالب لابن أخيه ويقدرون في محمد صدقه وأمانته ومكارم أخلاقه التي تتجلى مع الأيام .

★ سفره مع عمه إلى الشام ★

كانت قريش تقوم برحلتين في كل عام رحلة في الصيف إلى الشام ورحلة فى الشتاء إلى اليمن . . بالإضافة إلى الرحلات التجارية إلى الحبشة .

وكان أبو طالب يخرج على رأس القوافل التجارية لقريش ، ولما رأى محمد عمه يستعد لرحلة الصيف إلى الشام طلب منه أن يرافقه في رحلته فاستجاب له واصطحبه معه .

واتجهت القافلة قاصدة دمشق عاصمة سوريا الآن تقطع الصحراء ليلاً ونهارًا . . وكان لهم محطة للراحة في مدينة بصرى كما هي عادة القبائل .

وبصرى مدينة تابعة لأرض حوران وكان لهذه المدينة صومعة لراهب عالم اسمه بحيرى .

★ الراهب يستضيف القافلة ★

نظر الراهب بحيرى من نافذة في الصومعة على طريق القوافل فوجد غمامة تظلل صبيًا في الركب تسير فوقه حيث سار ، فتعجب الراهب من ذلك . فلما وصلت القافلة دعاهم الراهب لتناول الطعام معه . . ونظر الراهب إليهم فلم يجد فيهم محمدًا وسألهم هل تركتم من أحد . فقالوا تركنا صبيًا صغيرًا عند متاعنا فقال لهم : ادعوه فإني لم أصنع لكم الطعام إلا من أجله .

ولما دخل محمد أخذ الراهب يتفحصه . . ثم وضع يده بين كتفيه لينظر إلى خاتم النبوة فوجده بين كتفي محمد . فسأل أبا طالب من هذا الغلام منك (أي ما قرابته منك) ؟ قال : هو ابني . قال : ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا ، قال : إنه ابن أخي . قال : ارجع به واحذر عليه من اليهود .

★ الأمين يعمل في رعي الأغنام والتجارة ★

كانت الأيام تمر والرسول ﷺ في كفالة عمه ، وكان عمه أبو طالب كثير العيال . فقرر محمد ﷺ أن يعمل في رعي الأغنام ليتكسب عيشه ويخفف العبء عن عمه ، فكان يرعى الغنم لبعض الناس في قبيلته بالأجر واستمر على ذلك مدة طويلة من الزمان حتى بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة ، وسمعت به خديجة بنت خويلد وبأمانته وصدقه وكريم خلقه ، وكانت تستأجر الرجال ليتاجروا في مالها في رحلات الشتاء والصيف ، فأرسلت إلى محمد تعرض عليه الأمر ، وأثنى عليه غلامها ميسرة حيث كان يعرفه ﷺ .

خرج محمد ﷺ بتجارة لخديجة إلى الشام ، وهناك قابله الراهب بحيرى في بصرى للمرة الثانية وحادثه حديثًا طويلاً .

وكان محمد ﷺ لا يساوم مساومات التجار ، يتميز بالوضوح والصدق ، كان لا يكذب ولا يغش ولا يدلس ، وربحت تجارته أرباحًا عظيمة وعاد ميسرة يقص على خديجة بنت خويلد الشريفة القرشية عن أخلاق محمد ﷺ وتظليل الغمامة له وعن حسن أخلاقه وأمانته في التجارة .

★ الزواج المبارك ★

وكانت خديجة أرملة ثرية جميلة ، وكانت قد أعرضت عن الزواج من أشراف قريش حتى سمعت بمحمد ﷺ فرغبت في الزواج منه ، فماذا تفعل وكيف تعرض عليه هذا العرض مع وجود تقاليد تمنع ذلك ، فأسرت (حدثت سرًا) صديقة لها بهذا الأمر وأمرتها أن تذهب إلى محمد ﷺ وتعرض عليه الزواج منها فوافقت الصديقة ؛ وتوجهت إلى محمد ﷺ وسألته : يا محمد ما يمنعك من الزواج ؟

قال : ليس لي مال .

قالت : وإذا دعيت إلى المال والشرف والجمال فهل تجيب؟

قال محمد ﷺ : ومن هي ؟

قالت : هي خديجة بنت خويلد .

قال : ومن لي بها ؟

قالت : أنا .

قال : على بركة الله .

وذهب محمد ﷺ إلى عمه وأخبره الخبر وطلب منه أن يذهب معه لخطبة السيدة خديجة فوافق عمه وسر بذلك وتوجه إلى عم السيدة خديجة وعرض عليه الخطبة والزواج من خديجة رضي الله عنها إلى ابن أخيه محمد ﷺ وخطب خطبة

أثنى فيها على محمد وعلى بني هاشم وأنهم سدنة بيت الله الحرام والحكام على الناس وخدام الحجيج وأن محمدًا لا يوزن به شابًا من قريش إلا رجح به وأنه وإن كان في قلة من المال فإن المال عرض زائل ووديعة مسترجعة وتكفل هو بدفع الصداق (المهر) فوافق عمها وتمت الخطبة ثم الزواج الميمون (المبارك) بحضور أبي طالب وحمزة والعباس أعمام محمد ﷺ وعم خديجة .

★ البيت السعيد ★

وعاش الزوجان الصالحان حياة سعيدة في بيتهما وفوضت السيدة خديجة محمدًا ﷺ بالتصرف في مالها وتجارتها .

وحملت السيدة خديجة ورزقها الله من محمد ﷺ بزينب، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ومن الأولاد القاسم ، والطاهر ، وعبد الله ، ومات الذكور جميعًا في حياتهما .

وأصبح محمد ﷺ أبًا يقوم بتربية أبنائه وإدارة شئون المال والتجارة فضلا عن خلواته في غار حراء حيث كان يحب الخلوة في هذا الغار الذي يبعد عن مكة بمقدار ثلاثة أميال ، كان يعتكف فيه طول شهر رمضان من كل عام يخلو إلى نفسه وعبادته على دين أبيه إبراهيم عليه السلام ويتفكر في خلق هذا الكون ويطلب الهداية إلى الحق ويسأل الله هداية قومه وتخليهم عما هم فيه من الشرك والعادات القبيحة ، كالقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر .

وكان محمد ﷺ لا يحب الأصنام ولا يتقرب منها ولا يحضر أعيادها ولا يسجد لصنم ويعلم أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا ترى ولا تغني شيئًا ، وكان يحزن لما وصل إليه حال القوم الذين كانوا ينصبون حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنمًا يعبدونها من دون الله تعالى تقليدًا لعمرو بن لحي زعيم قبيلة خزاعة الذي أدخل الشرك إلى جزيرة العرب .

أهم الأحداث التي وقعت قبل مبعث النبي ﷺ

في عام مولده ﷺ وقع ما يعرف بحادث الفيل حيث توجه أبرهة الحبشي الأشرم لهدم الكعبة المشرفة بعد أن بنى كنيسة في اليمن تسمى القُلَّيس زخرفها بالرخام والمرمر إذ جلبه من قصر بلقيس وزينها بالذهب والفضة والجواهر وبناها أفخم بناء وأراد أن يصرف إليها حج العرب بدلاً من الكعبة بيت الله الحرام تعصبًا للنصرانية ومجاملة لملك الحبشة حيث كانت الحبشة في ذلك الوقت تحتل اليمن ، وكذلك ليتحقق له السيادة الدينية فى اليمن وسائر أنحاء جزيرة العرب .

فأعد جيشًا قوامه ستين ألف رجل من الرجال الأشداء مسلح بأشد الأسلحة وعلى رأس الجيش فيل ضخم مدرب على هدم المباني ولم يستطع أحد من العرب الوقوف أمامه ، وهزم كل من حاربه واصطحب الأدلاء حتى وصل إلى مشارف مكة ، وسلب جيشه مائتي بعير (جمل) لعبد المطلب سيد مكة ، وأمر عبد المطلب قريشًا أن يلجأوا إلى الجبال ويتجنبوا مواجهة هذا الجيش الذي لا طاقة لهم به وطلب مقابلة أبرهة لمطالبته بالإبل التي سلبها جيش أبرهة فغضب أبرهة وقال له: أتسألني في مائتي بعير وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك وأجدادك لا تكلمني فيه فقال عبد المطلب أما الإبل فأنا ربها (صاحبها) وأما البيت فله رب يحميه فغضب أبرهة وقال ما كان ليمتنع مني .

وطاف عبد المطلب بالبيت وأنشد قصيدة يدعو فيها ربه تعالى بحرارة أن يحمي بيته من هؤلاء الأعداء فاستجاب الله له وأرسل طيرًا تتألف من جماعات هذه الطيور خرجت من البحر الأحمر تحمل في أياديها ومناقيرها حجارة من النار صغيرة الحجم كالحمصة فتلقيها على الجنود فتكسر عظامهم وتحرق لحومهم وتتركهم صرعى كأنهم نبات زبل وجف .

قال تعالى : **﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم**

في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ [سورة الفيل] .

وما أن وصل أبرهة ذليلاً مقهوراً منهزمًا إلى اليمن حتى لقى حتفه ونصر الله بيته .

كذلك غارت بحيرة ساوة وتهدمت أربع عشرة شرفة من شرفات قصر كسرى «أنوشروان » وانطفأت نار فارس التي لم تطفأ من ألف عام وكانوا يعبدونها من دون الله ، ويعتبرونها إله النور وكانوا أيضًا يعبدون ما يسمونه إله الظلام ويعتقدون أنه إبليس .

وهذه الأمور يسميها العلماء إرهاصات النبوة أي الدلائل والعلامات التي سبقت نبوة الرسول ﷺ .

وكذلك شارك الرسول ﷺ قبل بعثته في حرب الفجار وكانت بين قريش وقبيلة قيس ووقعت في الأشهر الحرم ، ولذلك سميت حرب الفجار وكان الرسول ﷺ يعد النبل لأعمامه في هذه المعركة .

وكذلك شارك النبي ﷺ فيما يعرف بحلف الفضول في الجاهلية وهو حلف قام لنصرة الضعفاء والمظلومين . وكان من أهم الأحداث التي وقعت قبل بعثته ﷺ حادث إعادة بناء الكعبة المشرفة فماذا حدث؟

★ إعادة بناء الكعبة ★

بني العزيز بنيتي العزيزة :

وقعت بعض جدران الكعبة نتيجة سيول وحرائق فعزمت قريش على إعادة بنائها وكان عمر الرسول ﷺ في ذلك الوقت خمس وثلاثون سنة .

وكانوا يهابون (يخشون) هدم الجدران لما للكعبة من مهابة (رهبة) في

قلوبهم فاجترأ على ذلك الوليد بن المغيرة ، فلما رأوا أنه لم يصبه شيء شرعوا في الهدم وإعادة البناء ولما وصلوا إلى الحجر الأسود وأرادوا وضعه في مكانه اختلفوا وسلوا سيوفهم كل زعيم منهم يريد أن يكون له ولقبيلته شرف وضع الحجر الأسود في مكانه .

والحجر الأسود هو حجر يبدأ منه الطواف وهو حجر من الجنة نزل به جبريل عليه السلام ، وأعطاه لإبراهيم عليه السلام عندما أعاد بناء الكعبة بعد أن هدمها الطوفان .

يقول الرسول ﷺ « **الحجر الأسود يمين الله في الأرض الذي يشهد لمن استلمه أو قبله أو أشار إليه** » .

قال لهم أبو أمية وهو أسن القوم (أكبرهم) دعوا الخلاف والقتال وحكموا فيكم أول رجل يدخل عليكم ، وكان الداخل عليهم محمد ﷺ فصاحوا فرحين الأمين رضينا به حكمًا .

فأمرهم الرسول ﷺ بأن يأتوا بثوب كبير ووضع فيه الحجر وأمر كل زعيم منهم أن يمسك بطرف الرداء حتى إذا وصلوا إلى مكانه أخذه منهم ووضعه في مكانه ، وبهذا حسم الخلاف ومنع القتال بين العرب بحكمته وفطنته وتوفيق الله سبحانه وتعالى له ﷺ .

★ نزول الوحي على الرسول ﷺ ★

كان الرسول ﷺ قبل بعثته تناديه الأشجار والأحجار وتسلم عليه بالرسالة فتقول له السلام عليك يا رسول الله .

وأثناء اعتكافه وخلوته ﷺ في غار حراء وقد بلغ أربعين سنة وخمسة أشهر وفي شهر رمضان المبارك نزل عليه جبريل عليه السلام في صورة رجل وضمه (غطه) ضمة شديدة مرهقة وقال له : اقرأ .

فارتجف الرسول ﷺ وقال : ما أنا بقارئ .

فضمه الثانية وقال له : اقرأ .

قال: ما أنا بقارئ .

فضمه الثالثة حتى كادت تختلف أضلاعه (تنكسر) فقال : وما أقرأ . وكان الملك يضمه لتسرى إليه أنوار وقوى ملائكية .

قال الملك : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [العلق : ١ - ٥] .

ثم نادى الملك رسول الله ﷺ بعد أن خرج خائفًا من الغار وقال له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فنظر رسول الله ﷺ إلى مصدر الصوت فرأى جبريل عليه السلام جالسًا على كرسي بين السماء والأرض يسد ما بين المشارق والمغارب وله ستمائة جناح ورأسه في السماء ورجلاه على الأرض فغشي عليه من رؤية الملك على صورته الحقيقية .

وعاد الرسول ﷺ إلى خديجة يرتجف ويحس بالبرد والخوف فقال لها: زملوني زملوني أي غطوني ثم رقد . ولما أفاق وسرى عنه بعض الشيء سألته زوجه الحنون خديجة ماذا أصابك يا محمد؟ فروى لها ما حدث، فطمأنته وقالت له كلا والله لا يخزيك الله أبدًا لا تخف يا ابن العم إنك لتحمل الكل ، وتقري الضيف (تطعمه) . وتكسب المعدوم (تعطي الفقير) وتعين على نوائب الحق (قضاء الحاجات) فاستراح قلب الرسول ﷺ لهذه الكلمات الطيبة ثم نزل عليه الملك بضغطه النوراني فتصبب عرقًا وأوحى إليه الملك : ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** ﴾ .

أي قم أيها المغطى ، فأنذر الناس وحذرهم من يوم القيامة والحساب ، وكبر ربك فهو أكبر من كل شيء وأعظم من كل عظيم ، وطهر ثيابك للعبادة مع طهارة نفسك بعد اقتراف الذنوب والآثام .

أسرعت خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تقص عليه ما حدث .

★ خديجة عند ورقة بن نوفل ★

كان ورقة بن نوفل رجلاً كبيرًا بلغ الخامسة والتسعين من عمره ، وكان من كبار العلماء درس التوراة والإنجيل والكتب القديمة ، وكان على دين النصرانية وكان موحدًا لم يسجد لصنم . فروت له ما حدث ، فقال لها : إن هذا هو الناموس الأكبر (الوحي) الذي يأتي الأنبياء .

ثم عادت خديجة إلى الرسول ﷺ فنزل عليه الوحي مرة ثالثة بقوله تعالى : **﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾** [المزمل : ١ - ٥] .

وتصطحب خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ إلى ورقة ليسمع منه بنفسه فيقول له ورقة :

ليتني كنت جذعًا إذ يخرجك قومك .

قال رسول الله ﷺ أو مخرجيَّ هم؟

قال ورقة : نعم ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي ، وإنك لتخرجن ولتقاتلن ولتكذبن ولئن يدركني يومك لأنصرنك نصرًا مؤزرًا . أي نصرًا عظيمًا .

وما لبث ورقة إلا قليلاً حتى مات رحمه الله تعالى ورضي عنه .

ولما عاد الرسول ﷺ مع خديجة إلى البيت قال لها : ذهب وقت النوم والراحة يا خديجة وحان وقت الدعوة والجهاد والعمل .

***

★ المسلمون الأوائل ★

كان أول من أسلم وآمن بالرسول ﷺ السيدة خديجة فكانت أول من آمن من النساء بل أول من آمن على الإطلاق ، ثم ورقة بن نوفل غير أنه مات بعد أيام قليلة من بداية الدعوة ثم زيد بن حارثة كان أول من أسلم من الموالي (العبيد) ثم أبو بكر بن أبي قحافة واسمه عبد الله وعرف بعد ذلك بالصديق بعد حادث الإسراء والمعراج . ثم علي بن أبي طالب وكان أول من أسلم من الصبيان ، وكان عمره سبع سنين أو عشرًا ، وكان رسول الله ﷺ يكفله لتخفيف العبء على عمه أبي طالب .

وكان زيد بن حارثة مولى لخديجة فوهبته للرسول ﷺ وتربى في البيت المحمدي وتشبع من أخلاقه . وكان أبو بكر صديقًا حميمًا للرسول ﷺ قبل بعثته يلبث معه كل يوم أوقاتًا طويلة ويعيش أحداث الرسول ﷺ ويطلعه على أسراره وما يهمه في مختلف شئونه وكان أبو بكر تاجرًا ثريًا وكان صالحًا كريم الأخلاق يتحلى بأكرم الصفات وكان أعلم العرب بالأنساب، فلما عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام بادر بالإسلام والتصديق ولم يتلعثم أو يتردد لعلمه بأخلاق محمد ﷺ ومعايشته له ودراسته لشخصيته ولذلك ظل الرسول ﷺ يثنى عليه طول حياته ويغضب لغضبه ويفرح لفرحه ويقدمه على سائر الناس وكان أعظم من يحب من الرجال ، وهو خير الناس بعد رسول الله ﷺ جاهد بنفسه وماله ، وبذل ماله كله لله وللرسول ﷺ وهو والد زوجته عائشة وثاني اثنين في الغار وأول الخلفاء وكان يفتي في حياة الرسول ﷺ ويفسر الأحلام والرؤى وصلى خلفه الرسول ﷺ قبل وفاته رضي الله عنه .

ونشط أبو بكر للدعوة فأسلم على يديه جمع من خيرة الرجال منهم طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان وغيرهم .

★ جوهر الدعوة الإسلامية ★

كان الرسـول ﷺ كمـا قلت يجتـمع بأصحـابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم ليكون بعيـدًا عن عيون رجـالات قريش ، وكـان الرسول ﷺ يدعو أصـحابه إلى التـوحيد وعـبادة الـله وحده والإيمان به ربا وإلهًا لا شـريك له في ملكه ولا رب سواه وإخلاص العـبادة له سبحـانه وتعالى ونبذ عبـادة الأصنام والتفكر في الكون وفي نعم الله تعـالى وعدم اعتقـاد النفع والضر في غـير الله تعالى ، وكـان يقول للناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .

آل ياسر

وكان من الأوائل الذين آمنوا بالرسول ﷺ آل ياسر وهم ياسر وسمية وابنهما عمار ، تعرض هؤلاء لصنوف من العذاب الأليم المتكرر حيث كانوا من المستضعفين ليس لهم عصبة تنصرهم وتحميهم ، واستشهد ياسر وسمية من شدة التعذيب .

وكان الرسول ﷺ يمر عليهم ويقول: صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

أما عـمار فقد اشـتد به العذاب وطلبوا منـه أن يذكر آلهتهم بخـير وأن يسب محمدًا ﷺ ، وتحت شدة التعذيب أجابهم لما طلبوا وقلبه مطمئن بالإيمان .. وجاء إلى الرسول ﷺ خائفًا نادمًا .. وهو يقـول : لقد أجبتهم لمـا طلبوا يا رسول الله وسببتك مكرهًا .. فقال له الرسول ﷺ وكيف تجد قلبك؟

قال: مطمئن بالإيمان .

قال الرسول ﷺ : فإن عادوا فعد .

ونزل قوله تـعالى : ﴿ إلا من أكـره وقلبـه مطمـئن بالإيمان ولكن من شـرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ﴾ الآية .

★ بلال بن رباح رضي الله عنه ★

كان بلال عبدًا حبشيًا لأمية بن خلف . . وكان أمية بن خلف من سادات قريش وكان مشركًا شديد العداوة للإسلام والرسول .

وكان عمرو بن هشام الذي كان المشركون يسمونه أبا الحكم وكان الرسول ﷺ يسميه أبا جهل ويصفه بأنه فرعون هذه الأمة .

كان يشرف على تعذيب المستضعفين الذين ليس لهم قرابة تحميهم مثل ياسر وسمية وعمار وبلال وخباب بن الأرت .

وكان يكب بلالاً على وجهه في الصحراء المحرقة وقت الظهيرة ويركله بالأقدام في وجهه ويضع حجرًا ثقيلاً على صدره ويجره على الرمال الساخنة ويقول له اكفر بإله محمد ، فيقول بلال : أحد أحد ، أحد أحد ، وكان أبو بكر ﷺ يمر عليه ويطلب من أمية بن خلف أن يبيعه بلالاً ، ولما يأس أمية من بلال باعه لأبي بكر ودفع فيه الصديق ثمنًا غاليًا بضع أوقيات من الذهب .

وكان أبو بكر يشتري بعض المستضعفين ويحررهم لوجه الله تعالى وكان أبوه يعاتبه في ذلك ويقول له لو اشتريت عبيدًا أشداء يحمونك ، ولكن أبا بكر كان يشتري الضعفاء الصابرين يحررهم دون أن يطلب منهم جزاءً ولا شكورًا .

وبعد ذلك أصبح بلال مؤذنًا للرسول ﷺ وكان ندي الصوت (جميل الصوت) وعاش حياته بجوار الرسول ﷺ في أعز منزلة وأعلى مكانة ، وعرف له المسلمون فضله وسبقه إلى الإسلام وما تحمله من تعذيب يفوق طاقة البشر وكان بلال قد سن سنة ركعتين بعد كل وضوء وأقره الرسول ﷺ على ذلك وصارت سنة من سنن الإسلام وأخبره الرسول ﷺ بأنه سمع دق (صوت) نعليه في الجنة رضي الله عن بلال وكل صحابة النبي ﷺ .

★ الهجرة الأولى إلى الحبشة ★

لما زاد التعذيب على المستضعفين وكثرت شكاواهم لرسول الله ﷺ وكان ﷺ يأمرهم بالصبر ، ثم أمـرهم بأن يهاجروا إلى الحبشة وقـال لهم : إن فيها ملك لا يظلم عنده أحد .

وخـرج من المسلمين حوالي سـتين فارين بديـنهم من اضطهاد قـريش ومنهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ .

أمن النجـاشي المسلمين وأذن لهم في الإقامـة في بلده وأكرم نزلهم وعـاشوا آمنين فترة من الزمـان ، ولكن قريشًا لم تشأ أن تتركهم يـنعمون بالأمن رغم أنهم تركوا بلدهم .

أرسلت قريش إلى النجاشي ملك الحبشة ، وفدًا من دهاة العرب منهم عمرو بن العاص يحمل بعض الهدايا التي قدمها لـلنجاشي باسم رؤساء القبائل العربية ، وقد كـانت هناك علاقـات تجارية قـديمة بين العرب والأحـباش ، ثم وشى عـمرو وشاية ضد المسلمين عند النجاشي وطلب تسليم المسلمين المهاجرين إلى بلده كطلب رسمي من قـريش على لسان سـفرائها ، وقـالوا: إن بعض أهلنا أتوا إليك هاربين يدعون إلى دين جديد فلا هم بقوا على ديننا ولا هم دخلوا في دينك أيها الملك ، وقطعوا أرحامهم وعابوا دين آبائهم .

أرسل النجاشي في إحضـار المسلمين فلما جاءهم الطلب تشاوروا فـيما بينهم قالوا: مـاذا نقول للنجاشي إذا سألنـا؟ قال جعفـر بن أبي طالب : نقول له الحق والصدق كائنا ما كان ، ثم قال لأصحابه دعوني أكلمه عنكم .

وسألهم النجاشي أمام قساوسته وبطارقته ورجال دولته :

ما هو الدين الجديد الذي أنتم عليه؟ فقام جعفر بالرد عليه وأوضح له حقيقة الإسلام وأن الله ابـتعث فيـهم نبيًا من أوسطهم (أفـضلهم) حسـبًا ونسبًا نعـرفه

ونعرف صدقه فأمرنا بعبادة الله وحده وأن نترك عبادة الأصنام وأمرنا بصلة الأرحام ومكارم الأخلاق فعدا علينا قومنا وعذبونا وأكرهونا على دينهم ففررنا إليك أيها الملك لما نعلم من عدلك ورجونا ألا نظلم عندك فأطلقهم النجاشي وأمر ألا يتعرض لهم أحد بسوء .

وهنا فكر الداهية عمرو بن العاص وكان لم يسلم بعد ، فعاد إلى النجاشي وقال له: أيها الملك إن هؤلاء الرهط يقولون في عيسى ابن مريم وأمه قولاً عظيمًا، فأمر النجاشي بإعادة استدعائهم وسؤالهم ، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : نقول عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأمه صديقة ، ثم تلا عليه سورة مريم ، فاعترض بعض القساوسة وصدق بعضهم واخضلت لحاهم (ابتلت) بالدموع ، فقال النجاشي للمعترض وقد التقط عوداً من الأرض والله ما زاد عيسى ابن مريم عما يقولون مقدار هذا العود وإن نخرتم ، والنخر حكاية صوت قبيح يخرج من أفواه من يعترض ويتصف بسوء الخلق . ثم قال لهم اذهبوا آمنين ومن سبكم غرم .

★ إسلام عمر رضي الله عنه ★

بني العزيز بنيتي العزيزة :

كان عمر بن الخطاب شديد العداوة للنبي ﷺ والمسلمين شديد الكراهية لهذا الدين الجديد ، وفي حوار مع بعض أصدقائه حول الكعبة فاجأ الناس بقوله : أيها الناس اليوم سأخلصكم من محمد وإني ذاهب الآن لأقتله ، ثم شهر سيفه بعد أن استله (نزعه) من غمده (جرابه) وركب جواده في ثورة عارمة يريد أن يتوجه إلى حيث رسول الله ﷺ ، وبينما هو في الطريق قابله صديق له فناداه إلى أين يا عمر؟ قال : إلى محمد بن عبد الله لأخلص العرب منه .

فضحك الرجل ساخرًا وقال له :

وهل ترى بنو هاشم يتركونك تمشي على الأرض إن قتلت محمدًا ؟ اذهب إلى أهلك فأصلحهم أولاً .

قال عمر: من تقصد ؟ قال الصديق : أختك فاطمة وختنك (زوج أختك) وهنا زاد غضب عمر وأسرع متوجهًا إلى بيت أخته وقبل أن يطرق الباب . . سمع هيمنة (صوت خفيض) في الدار ، إنه صوت خباب بن الأرت يتلو القرآن على فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما .

وطرق عمر الباب فقالت فاطمة: من ؟ قال: عمر . وهنا أسرع خباب واختبأ وراء جدار في المنزل ، وفتحت فاطمة الباب ودخل عمر وأمسك بسعيد زوج أخته ولطمه على وجهه فقامت فاطمة لتحول بين أخيها وزوجها فدفعها فوقعت على الأرض وسالت الدماء من أذنها لشدة الضربة .

ولما رأى عمر الدماء تنزف من أخته رق لها فتجرد من العناد وقال لها في هدوء : يا فاطمة أين الصحيفة التي كان يقرأ فيها ؟ لأنه رآها تخبأ صحيفة وراء ظهرها لما دخل. قالت: هي معي، ولكن لن تمسها حتى تغتسل لأنك مشرك نجس واغتسل عمر وقرأ الصحيفة فإذا فيها آيات من سورة طه : فرق قلبه وعلم أن هذا ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن ﴿ **طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى** ﴾ [طه:١ - ٨] . وكان قبل ذلك قد سمع الرسول ﷺ يقرأ سورة الحاقة فلما رأى الدم يسيل من أخته ورق لها هذه الرقة أزالت الران (سواد يغلف القلب) والعناد فدخل نور القرآن إلى قلبه ، وسأل عمر أخته أين أجد محمدًا الآن ؟ وهنا خرج خباب من اختفائه وهو يقول: الله أكبر لعل دعوة رسول الله ﷺ قد أصابتك فإني سمعته بالأمس يقول اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام (أبي جهل) ، ودله على مكان رسول الله ﷺ .

★ عمر يسلم بين يدي الرسول ﷺ ★

وصل عـمـر إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم وطرقـه طرقًا شـديدًا فقـام أحـد الصحابة ينظر من فرجة (ثقب) في الباب ، ثم عاد فزعًا إلى الرسول ﷺ فقال: إنه عمر بن الخطاب يا رسول الله ، فقال حمزة بن عبد المطلب : دعوه لي ؛ فإن كان يريد خيرًا فمرحبًا به وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه ، وفتح الباب ودخل عمر فأمسك رسول الله ﷺ عـمر من جيب قميصه (فتحـة الصدر) وقال له : أما آن لك أن تسلم يا ابن الخطاب؟ توشك أن تـنزل عليك صاعـقة من السـماء ، فـقال عمـر: أشهـد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مـحمـدًا رسول الله ، فكبر المـسلمون وهللوا .

★ الجهر بالدعوة ★

كانت الدعوة إلى الإسلام في هذه الفترة سـرية حتى أسلم عمر وقال لرسول الله ﷺ بعد أيام من إسلامـه : يا رسول الله . . ألسنا على الحق؟ قال النبي ﷺ بلى يا عمـر، قال عـمر : فلماذا إذن نـختفي وندعـو الناس سرًا؟ فـقام ﷺ من مجلسه بدار الأرقم وطلب إلـى الصحابة أن يسيروا حـوله في طرقات مكة وكان معهم عمر وحمزة .

ووقف رسول الله ﷺ على أبي قبيس بمكة ينادي على العرب بأسماء قبائلهم . . يا بنى زهرة ، يا بنى عبـد مناف ، يا بنى عبد الدار ، يا بنى عبـد شمس فلما حضروا جميـعًا وكان فيهم عمه عبد العزى بن عبـد المطلب وكنيته (أبو لهب) قال الرسول ﷺ : « أرأيتـم لو أنبأتكم أن وراء هذا الجبـل خيل تريد أن تغيـر عليكم أكنتم مصدقي؟! قالوا: نعم ما جـربنا عليك كذبًا قط وأنت الصادق الأمين فقال :

« إني رســول الله إليكم بين يدي عـذاب أليم ، ثم ذكـرهم بأن الله إله واحـد لا شريك له ولا رب سواه» .

وهنا أطرق أبو لهب وقال : تبًا لك يا محمد ألهـذا جمعتنا ؟! فأنزل الله الرد عليه في القرآن الكريم : **﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ❊ ما أغنى عنه مـاله وما كسب ❊ سيصلى نارًا ذات لهب ❊ وامرأته حمالـة الحطب ❊ في جيدها حبل من مسد﴾** [سورة المسد] .

★ طلب التسليم ★

سمع المهاجرون في الحبشة أن الأمن قـد استقر في مكة وأن معظم الناس قد دخلوا في الإسلام ، فعادوا إلى مكة فوجدوا الإيذاء مستمرًا والمضايقات والتضييق والعداوة مستمرة من المشركين للمسلمين وأن ما سمعوه يخالف الحقيقة فعادوا إلى الحبشة في هجرة ثانية بعد أن مكثوا فترة في مكة .

وجاء وفد من زعماء المشـركين يقابلون أبا طالب عم النبي ﷺ ، وقالوا له : إن محمدًا قد سفه أحلامنا (عقولنا) وعاب آلهتنا وأحدث بيننا فتنة . . وإنا نعرض عليك أمورًا ، إن كان ابن أخيك يأتيـه رئي من الجن عالجناه ، وإن كان يريد مالاً جمـعنا له من أمـوالنا حتى يكون أكـثرنا أمـوالاً ، وإن كان يريد بما جـاء به ملكًا ملكناه علينا حتى لا نقطع أمرًا دونه ، على أن يتـرك ما هو فيه ويعود لدين الآباء والأجداد وإلا أسـلمتـه إلينا لنقتله ونعطـيك بدلاً منه شابًا من أشـرافنا يكون لك ابنًا، فقال لهم عبد المطلب أأعطيكم ابني لتقتلوه وتعطوني ابنكم لأغذوه !

وكـانوا قد سـبق أن عـرضوا على رسـول الله ﷺ مـثل هذا العرض مـرارًا وتكرارًا على يد عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة وغيرهما وكان الرسول ﷺ يقول لهم : لا أطلب منكم سوى كلمة واحدة ، فيقولون له : نعطيك مائة كلمة ما هي هذه الكلمة ، يقـول ﷺ تقولوا : لا إله إلا الله تفلحوا كلمة تملكـون بها العرب

وتدين لكم بها العجم ، فكانوا يأبون أن يقولوها لأنهم يعلمون تبعتها وأنها تفرض عليهم ألا يعبدوا إلا الله ولا يسترزقوا بغيره ولا يستمطروا بغيره ولا يذلوا إلا له وأن تكون حركة حياتهم كلها لله تعالى . كما قال تعالى : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾ .

ولما عرض أبو طالب مقالتهم على الرسول ﷺ وقال له : يا ابن أخي ارفق بي وبنفسك ، فظن الرسول ﷺ أن عمه مسلمه إليهم ، فقال أسلمي أنت إليهم يا عمي، والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

وتركه الرسول ﷺ وهو قائم فأشفق عليه العم ولحقه عند الباب وقال له : اذهب يا ابن أخي وادع بما شئت ، فوالله لن أسلمك لشيء أبدًا ، وكان لهذه الكلمات وقع طيب على قلب الرسول ﷺ .

ويحرص الرسول ﷺ على عمه أن يقول كلمة التوحيد غير مرة ولكن العم كان حريصًا على أن يدين بدين آبائه وأجداده ويقول له أخشى أن يعيرني سادة قريش ، فقد كان أبو طالب يعلم صدق النبي ﷺ ، ولكنه كان يتعصب للآباء والأجداد ويحب ما ألفه وألفه القوم من قريش .

★ جدال المشركين للرسول ﷺ ★

يئست قريش أن يسلمهم أبو طالب محمدًا ، ويئسوا أن يتخلى النبي ﷺ عن دعوته ، وقد كانوا قبلها يريدون منه أن يركن إليهم ولو شيئًا قليلاً فيطلبون منه أن يكف عن آبائهم وعن آلهتهم .

ومرة يطلبون أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدون إلهه سنة ، ومرة يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله أي غير القرآن أو غير بعض الآيات التي تسفه أحلامنا وتعيب آلهتنا ، ومرة يطلبون منه أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا أو يحول لهم

الصفا ذهبًا أو يرقى (يصعد) في السماء ويأتي بالله والملائكة جماعات ويأتي معه بكتاب ويأتي بالملائكة يشهدون له بالنبوة .

ومرة يتهمونه بالسحر ومرة يتهـمونه بأنه مسحور ومرة بأنه مجنون وأنه شاعر وأنه كاهن ، وأن القرآن أسـاطير (خرافات) الأولين طلب كتابتـها فهي تكتب له صباحًا ومساءً ومرة يزعمون أن حدادًا روميًا يعلمه القرآن ومرة يتهمونه بأن بحيرى الراهب هو الذي علمه القرآن وغير ذلك من الأكاذيب .

وكان الرسول ﷺ ثابتًا على دعوته لا يلين ولا يتـزحزح حتى أن سادة قريش طلبوا منه أن يجعل لهم يومًا يجتمعون معه لا يحضر معهم أراذل الناس وفقراءهم يقصدون صـهيبًا وعمارًا وبلالاً وابن أم مكتوم وغـيرهم من الفقراء والمستـضعفين فلما أراد أن يوافقهم ﷺ طمعًا في إسلامهم وإسلام من يتـبعهم عاتبه ربه سبحانه وتعالى في سورة عبس وفي سورة الكهف ومـصداق هذه الأحداث والأقوال قوله تعالى في سورة الإسراء :

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حـتى تفجر لنا من الأرض ينبـوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كـسـفًا أو تأتي بالله والملائكة قـبـيلاً * أو يكون لك بيت من زخـرف أو ترقى في السمـاء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كـتابًا نقرؤه قل سبـحان ربي هل كنت إلا بشـرًا رسولاً * ومـا منع الناس أن يؤمنوا إذ جـاءهم الهدى إلا أن قـالوا أبعث الله بشرًا رسولاً ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٤] .

وقال تعالى في سورة الكهف :

﴿ واصبر نفـسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعـشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيـا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف :٢٨] .

وقال تعالى في سورة عبس :

﴿ عـبس وتولى * أن جـاءه الأعـمى * ومـا يدريك لـعله يزكى * أو يذكـر

فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى ﴾ [عبس : ١ - ١٠] .

ثم لما أعيتهم الحيل وسقطت حججهم أتوا بقول ساقط مثل سائر أقوالهم السابقة إذ سلموا للقرآن ولكنهم اشترطوا أن ينزل على رجل من الزعماء الكبار أصحاب الأموال والأولاد كما حكى عنهم القرآن :

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون * وزخرفًا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٥] .

ولقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا مع الجن قال تعالى في سورة الإسراء :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ثم تحداهم رب العزة - تبارك وتعالى - في القرآن أن يأتوا بعشر سور من مثله .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا أيضًا وهذا الكلام ينطبق على أكبر سورة في القرآن وهي سورة البقرة كما ينطبق على أصغر سورة وهي سورة الكوثر .

قال تعالى : **﴿ فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾** [البقرة : ٢٣ - ٢٤] .

★ الحصار في الشعب ★

كان من نتيجة يأس المشركين الكفار من رجوع الرسول ﷺ عن دعوته وفشل المفاوضات مع أبي طالب لتسليم الرسول ﷺ لهم ليقتلوه فكروا في حيلة شيطانية للقضاء على الرسول ﷺ والمسلمين بضرب حصار اقتصادي واجتماعي ليموتوا جوعًا فكتبوا وثيقة وقعوا عليها جميعًا ، بأن يقاطعوا المسلمين وبني هاشم. لا أكل ولا شرب ولا زواج ولا بيع ولا شراء ، واضطر المسلمون تحت هذه الضغوط أن يدخلوا الشِعب - شعب أبي طالب بالجبل .

ووضع المجرمون الوثيقة - وثيقة المقاطعة - معلقة في جوف الكعبة . واشتد البلاء بالمسلمين ثلاث سنين حتى أكلوا الجيف وأوراق الشجر وامتصوا الحصى من الجوع ، وكان بعض الناس ترق قلوبهم وبعض من أسلم من القبائل الأخرى - ولا تعرف قريش بإسلامه - يسرب لهم بعض الحنطة - القمح - والشياه .

ورقت قلوب نفر من قريش وأعلنوا على الملأ من قريش نقضهم ما في الصحيفة . . وأنهم قائمون لتمزيقها ، ثم أخبر الرسول ﷺ عمه أبا طالب أن الله تعالى قد سلط الأرضة فأكلت ما في الصحيفة من ظلم وقطيعة رحم وتركت اسم الله (باسمك اللهم) . فخرج أبو طالب إلى سادة قريش من المشركين وأخبرهم ما حدثه به الرسول ﷺ ووعدهم أن يسلمه إليهم إن كان غير صادق فيما أخبر به فقالوا له قد أنصفتنا ثم أرسلوا رجلاً يأتي بالصحيفة من جوف (داخل) الكعبة فوجدوها كما أخبرهم أبو طالب على لسان ابن أخيه محمد ﷺ .

وخرج المسلمون من شعب أبي طالب بعد فك الحصار الذي استمر ثلاث سنوات ذاقوا فيها آلام الجوع والعطش والحرمان ما لا تحتمله الجبال وخرج أبو طالب من الحصار مريضًا مشرفًا على الموت وكذلك خديجة رضي الله عنها . وما لبث إلا قليلاً حتى مات .

★ دعوة أهل الطائف ★

ولما وجد النبي ﷺ إصرار أهل مكة على الكفر والعناد فكر في الانتقال بالدعوة إلى مكان آخر ، فاختار الطائف وأعد العدة واتجه في الصحراء سيرًا على قدميه في حرارة الشمس وقطع مسافة طويلة جدًا أكثر من ستين كيلو في طريق غير ممهدة .

لما وصل رسول الله ﷺ إلى الطائف وبدأ يدعو أهلها فلم يجد منهم آذانًا صاغية ولا قلوبًا واعية ولا عقولاً راجحة .. واتهموه بالجنون والسفاهة وأمروا صبيانهم وسفهاءهم أن يقذفوه بالحجارة حتى أدموا (أسالوا الدم) من قدمه الشريفة ﷺ ، وطلب منهم ﷺ ألا يخبروا أهل مكة بما حدث حتى لا يشمتوا به ولكنهم أشاعوا ما حدث وحدثوا به أهل مكة .

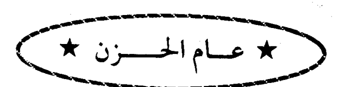
وعاد ﷺ راجعًا حزينًا باكيًا وأدركته شفقة على نفسه فخر ساجدًا يدعو بدعاء يفتت الصخر ويدمي القلوب : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ولما قام رسول الله ﷺ من سجدته نظر فوجد جدارًا لبستان به ظل فجلس بجواره يستريح فرأى الحارس واسمه « عداس » الذي أرسله سيداه بقطف من عنب بعد أن أشفقوا على الرسول ﷺ ووجدوه مرهقًا والدماء تنزف من قدمه وقد علاه العرق الغزير وبلغ من الجهد غايته .

تقدم عداس بعنقود العنب وقدمه للنبي ﷺ فأمسكه النبي ﷺ وقبل أن يأكل

قال : بسم الله الرحمن الرحيم. فتعجب عداس وقال : إن هذا الكلام لا يقوله أحد من أهل هذه البلاد . فقال له الرسول ﷺ : من أي البلاد أنت يا عداس ؟ قال : من «نينوى»[1] قال له النبي ﷺ : بلد أخي يونس عليه السلام ، فقال عداس: ما أدراك ما يونس بن متى ؟ قال ﷺ : هو نبي وأنا نبي ، فدهش عداس وقبل يدي النبي ﷺ وقدمه .

وعاد الرسول ﷺ إلى مكة ، وقد سبقه الخبر إلى أهل مكة الذين رفضوا عودته إلى مكة حتى دخل في جوار مطعم بن عدي فدخل مكة في حراسته وجواره واصطف حوله أبناء مطعم بن عدي مشرعي سيوفهم لمواجهة من يتعرض له ﷺ . وكان الرسول ﷺ رغم ما حدث من رفض أهل مكة الهداية وسخرية أهل الطائف ورفض دعوته ، كان رغم كل ذلك يوقن بأن الله تعالى سينصره ويفوض الأمر إليه سبحانه .



★ عام الحزن ★

أبنائي الأعزاء

في العام الذي خرج فيه النبي ﷺ وأصحابه من الحصار ماتت فيه السيدة خديجة رضى الله عنها الزوجة الحنون الصالحة التي كانت أول من آمن به وصدقه وكانت تثق به وتحبه أشد الحب وتواسيه بمالها ، وكانت مثالاً للطهر والكرم والسخاء والبذل والعطاء والصبر والجهاد ، ورزقه الله منها الولد دون سائر النساء فكل أولاده ﷺ من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية (المصرية) وقد رزقه الله تعالى من خديجة القاسم والطيب وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضي الله عنهم ، ومات أولاده الذكور في حياته ، وكانت السيدة خديجة هي التي عاشت معه ﷺ قبل الوحي وأثناء بدايته وتحملت أصعب الأيام وأشد

(١) بلد من بلاد العراق .

الأزمات . وفي نفس العام توفى عمه أبو طالب الذي كان يحبه أكثر من أولاده ويرعاه ويحميه ، والذي كفله وهو صغير في سن الثامنة وما زال يحوطه بعنايته وحمايته حتى آخر يوم من حياته .

وكان حزن الرسول ﷺ شديدًا جدًا لفقده زوجته وعمه في عام واحد وسمي هذا العام عام الحزن .

وكانت هذه الأحداث المتوالية ؛ حصار الشعب وعناد أهل مكة وإصرارهم على رفض دعوته وسخرية أهل الطائف به وموت زوجته وعمه في عام واحد كل ذلك كان مدخلاً إلى رحلة الإسراء والمعراج ، الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج (الصعود) إلى السموات العلى في ليلة واحدة بل في جزء من الليل كما سنعلمه من الفصل القادم .

★ الإسراء والمعراج ★

كانت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يسري عن رسول الله ﷺ ويذهب عنه الحزن ويثبت قلبه ويريه من آياته الكبرى ويريه من أسرار الملك والملكوت أي عالم الشهادة وعالم الغيب ما لم يره أحد من البشر .

في شهر رجب كما يقول كثير من المفسرين ورواة السير كان رسول الله ﷺ نائمًا في بيت أم هانئ ابنة عمه أبي طالب . . إذ طرق الباب جبريل عليه السلام ومعه دابة أتى بها من السماء تسمى البراق هذه الدابة أسرع من البرق وحجمها أصغر من الحصان وأكبر من الحمار لها جناحان . . وقال للرسول ﷺ اركب هذا البراق .

وركب النبي ﷺ البراق فانطلق به مسرعًا إلى بيت المقدس ومعه جبريل عليه السلام . . وهناك في المسجد الأقصى وجد الأنبياء مجتمعين فصلى بهم ركعتين دلالة على أنه إمام الأنبياء وخاتمهم .

بني العزيز بنيتي العزيزة :

الأنبياء وإن كانوا قد مـاتوا إلا أنهم يعيشون في قبورهم حياة برزخـية بكيفية يعلمها الله سـبحانه وتعالى وإذا كان الشـهداء أحياء عند ربهم يرزقون فـإن الأنبياء من باب أولى أحياء عند ربهم يرزقون حياة أعلى وأعظم من حياة الشهداء .

ثم نزل من السمـاء ما عرف بالمعراج وهو سلـم من النور رقى عليه النبي ﷺ فخرق له حـاجز الزمان والمكان فصعـد إلى السموات العلى وفوق السمـاء السابعة حتى وصـل إلى سدرة المنتـهى عندها جنة المأوى في مسـتوى يسـمع فيـه صريف الأقلام أي صوت أقلام القدر ،وعرش الله تعالى سقف للجنة .

وكان الرسـول ﷺ عندما يمر على أي سمـاء يستفـتح له جبريل عليـه السلام خزنة السماء فتفتح لهما ويرحب به أهل كل سماء ويسلمون عليه بالنبوة والرسالة ، وقابل هناك في السـماء الأولى آدم عليـه السلام وفي السمـاء الثانيـة يوسف عليه السلام وفي الثالثـة يحيى وعيسى عليـهما السلام وفي الرابعـة إدريس عليه السلام وفي الخامسـة هارون عليه السلام وفي السادسـة موسى عليه السلام وفـي السابعة إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وكلهم يرحب به ويسلم عليه .

ورأى من آيات ربه الكبرى ورأى شجـرة طوبى ورأى الجنة والنار وكلمه ربه عـز وجل وفرض عليـه الصلوات خمـسين صـلاة ثم جعلهـا خمـسة في العـمل وخمسين في الثواب لأن الحسنة بعشر أمثالها .

وعاد الرسول ﷺ بصحبة جبـريل عليه السلام في نفس الليلة وكان قبل ذلك قد رأى رحلة الإسراء والمعراج رؤيا منام .

وبدأ الرسول ﷺ يخبر الناس بما حدث لـه وكانت زوجته أم هانيء تناشده ألا يحدث الناس حتـى لا يكذبوه فأبى ﷺ إلا أن يخبر الناس ، فصـدقه بعض الناس وكذبه كـثيرون وسخروا منـه وذهبوا إلى صديقه أبي بكر يشكون إليـه رسول الله ﷺ وما يقوله . قالوا له : إن صاحـبك يقول إنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد في نفس الليلة وكـان أبو بكر لم يلتق في هـذا اليوم بالنبي فـقـال أبو بكر رضي الله

عنه : أصدقه ولو قال : إنه صعد إلى السماء . فسماه من يومها « الصديق » .

وتعنت الناس فقالوا للرسول ﷺ إذا كنت قد أتيت بيت المقدس ورجعت في ليلة ونحن نضرب إليه أكباد الإبل شـهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا (عودة) فصف لنا بيت المقدس ، ورغم أنه ﷺ زاره زيارة خاطفة وأثناء الليل ، فإن الله تبارك وتعالى قد أراه المسجد الأقـصى وهو في مكانه كأنه أمامـه فأخذ يصفـه لهم ويعد لهم أبوابه ونوافذه ويصف حوائطه .

وقد وردت قـصة الإسـراء والمعراج في سـورة الإسراء وفي كتب السـنة مثل صحـيح البخـاري ورواه عدد من الصحـابة ومنهم أنس رضي الله عنه وغـيره من الصحابه يـقول تعالى : ﴿ **سبـحان الذي أسرى بعبـده ليلاً من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾

بني العزيز بنيتي العزيزة :

بعض الناس في القديم والحديث يـكذبون بالإسراء والمعراج رغم أنه ورد في سورة الإسراء ، والمعراج في سورة النجم ، وورد في الأحـاديث الصحيحة ورغم أن الله تعالى قال أسـرى بعبده ولم يقل أسرى محـمد فكيف يستبعـدون شيئًا عن قدرة الله تعـالى ؟ والإنسان في العصـر الحديث استطاع أن يصل إلى القـمر الذي يبعد عن الأرض بمقدار ٢٥٠ ألف ميل فكيف بـقدرة الله تعالى في الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو سبحانه على كل شيء قدير .

يقول تعالى في سورة النجم :

﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ** ﴾ [النجم : ١- ١٨] .

فقسم الله تعالى بالنجم لعظم خلق الكواكب وضخامتها وسرعتها وضوؤها الباهر وينفى الضلال والزيغ عن الرسول ﷺ ويخبر أن نطقه أي سنته وحي من الله وأنه ﷺ لا يغلب هواه على الحق ولا ينطق إلا الصدق ، ويصف جبريل بالقوة (شديد القوة) والمرة أيضًا القوة ، وقرب الرسول ﷺ من سدرة المنتهى المجاورة لجنة المأوى ويوبخ من يجادل الرسول في هذا الخبر ويخبر سبحانه أن الرسول ﷺ رأى جبريل بصورته الحقيقية مرة ثانية عند سدرة المنتهى وكانت المرأة الأولى عند غار حراء ، ورأى الرسول أنوار تغشى سدرة المنتهى وأشياء لا توصف لشدة عظمتها وإبهارها وأن بصره ﷺ لم يزغ ولم ير غير الحقيقة وإنما رأى حقًا ورأى بعض آيات ربه الكبرى حيث رأى الجنة والنار وسدرة المنتهى وسمع ربه وتلقى التكليف بالصلاة وقابل إخوانه الأنبياء إلى غير ذلك .

★ بيعة العقبة الأولى والثانية ★

كان الرسول ﷺ يعرض دعوته على القبائل التي تأتي إلى الكعبة في موسم الحج فقد كان العرب يحجون قبل الإسلام وهذه الشعيرة من شعائر سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء ، وكانت قريش وعلى رأسها أبو لهب يصدون الناس عن الرسول ﷺ ويكذبونه ، ثم قدم وفد من المدينة (يثرب) فلما عرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام ، قالوا له : دعنا نفكر وسوف نلتقي بك الليلة عند العقبة ، وتدارس القوم الأمر فيما بينهم ثم جاءوا في موعدهم وأعلنوا إسلامهم وبايعوا الرسول ﷺ .

وكانت البيعة تتضمن الأمر بعبادة الله وحده والتحلى بمكارم الأخلاق والنهي عن الفواحش من القتل والسرقة والزنا .

وكان عددهم ستة أفراد كلهم من « الخزرج » وتم الأمر في سرية تامة ، وكانت هذه البيعة فتحًا وبداية لنشر دعوة الهداية في المدينة وتمهيدًا للهجرة النبوية ،

ولما هموا بالرجوع إلى بلدهم أرسل الرسول ﷺ لهم مصعب بن عمير ليفقههم في الدين وينشر دعوة الإسلام في المدينة .

وكانت سفارة مصعب فاتحة خير لأهل المدينة حيث جاء في الموسم التالي (في العام التالي) اثنان وسبعون رجلاً من المدينة فأسلموا وبايعوا رسول ﷺ بحضرة عمه العباس وكان لم يعلن إسلامه بعد وطلبوا من الرسول ﷺ أن يهاجر إليهم على أن يمنعوه (يحموه) مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وأن يسالموا من يسالم ويعادوا من يعادي . وذكرهم العباس بعهودهم وأن يلتزموا بها وإلا تركوه ﷺ بين قومه وعشيرته ، وذكر بعضهم بعضًا بأنهم سيقاتلون الناس ويقطعون حبالاً بينهم وبين الناس أي يقطعون الصلة بينهم وبين قريش وبينهم وبين اليهود فأكدوا عهدهم وبيعتهم وكانت هذه تعرف ببيعة العقبة الثانية .

★ مصعب بن عمير ★

كان مصعب بن عمير شابًا قوي الإيمان عالمًا حافظًا للقرآن فقيهًا في الدين شديد الإخلاص ، ترك ما كان فيه من غنى وجاه حيث كان ثريًا يلبس أفخر الثياب ويتعطر بأفخر العطور وكانت أمه تحبسه وتحرض عليه من يعذبه فهرب بإسلامه وضحى بمتاع الدنيا وزينتها ابتغاء وجه الله .

وقد كان رضي الله عنه أول سفير في الإسلام أدى مهمته بنجاح وإخلاص ومهد الأمور في المدينة لهجرة النبي ﷺ حتى لم يكن هناك بيت إلا ودخله الإسلام، وكان أهل المدينة ينتظرون بشوق ولهفة هجرة الرسول ﷺ إليهم ويتلهفون على رؤيته .

❋ ❋ ❋

★ حادث الهجرة ★

أبنائي الأعزاء :

لما استمر إيذاء المشركين للمسلمين وصموا آذانهم عن دعوة الحق وكثرت شكوى المسلمين مما يلاقونه من الكفار ، أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب (المدينة) فكان الصحابة يهاجرون خفية على دفعات وكان المشركون يضيقون ذرعًا بهذه الهجرة يخشون أن يأمن المسلمون في المدينة ويؤسسوا لهم دولة هناك .

وكان المشركون إذا تمكنوا من مهاجر قبل أن يصل إلى المدينة ردوه إلى مكة مع الشتم والضرب والإيذاء والتهديد حتى أنهم اجتذبوا يدي سلمة الغلام الصغير ابن أبي سلمة فقطعوا ذراعه من شدة الجذب .

واستمرت هجرة المسلمين إلى المدينة حيث وجدوا فيها الأمن والترحيب ، إلا أن عمر بن الخطاب بما عرف عنه من شجاعة وجرأة وصلابة وشدة في الحق خرج جهارًا شاهرًا سيفه متجهًا إلى المدينة وهو يقول : من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده فليلقني خلف هذا الوادي . . وانشرح قلب الرسول ﷺ لما فعل عمر وكان قد أذن له في الهجرة .

أسرع أبو بكر الصديق رضي الله عنه يستأذن في الهجرة على علم بهجرة عمر، ولكن الرسول ﷺ يقول له : اصبر لعل الله يجعل لك صاحبًا ، ولم يبق في مكة إلا قلة قليلة منهم أبو بكر رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قريش تتآمر على الرسول ﷺ

اجتمع زعماء قريش بدار الندوة ليتشاوروا في طريقة يتصدون بها للإسلام وليتدارسوا كيف يتخلصون من النبي ﷺ ، وحضر الشيطان مجلسهم في صورة شيخ من نجد.

كان بعض الزعماء من المشركين يقترح سجن الرسول ﷺ فيقول لهم الشيطان: إن هذا ليس لكم برأى لأن دعوته ستخرج من السجن إلى الناس .

وبعضهم يقترح نفيه فيقول لهم الشيطان : سيجمع محمد لكم الناس ويأتي إلى بلدكم ويقاتلكم .

وأشار عليهم اللعين بأن يجمعوا من كل قبيلة فتى قويًا ويجتمع الشباب بالسيوف البتارة (القاطعة) ويضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل أي يكون الثأر في قبائل عدة ؛ لأن المشركين كانوا يخشون انتقام بني هاشم وثأرهم لرسول الله ﷺ إن قتلوه . فرضوا بهذا الرأى وأعدوا العدة لذلك .

خروج الرسول ﷺ سالمًا :

نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وأخبره بما اتفق عليه الكفار في برلمانهم المسمى دار الندوة ، وتوجه الرسول ﷺ إلى دار أبي بكر في وقت الظهيرة، وقال له أخرج من عندك ، فقال أبو بكر إنما هما ابنتاي وأمره الرسول ﷺ أن يعد راحلتين (ناقتين) وعهد أبو بكر إلى عامر بن فهيرة بإعداد الراحلتين .

وكلف الرسول ﷺ عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام هذه الليلة في مكان النبي ﷺ وأن يتغطى ببرده الأخضر (لحاف ، أو بطانية) .

وأحاط فتيان قريش بالبيت بينما الرسول ﷺ قد أمر عليًا أن يرد الأمانات التي كانت لدى النبي ﷺ فقد كان الكفار رغم عداوتهم للرسول ﷺ لا يأتمنون أحدًا من الناس كما يأتمنون الرسول ﷺ .

وظل الفتية واقفين ينتظرون خروج الرسول ﷺ لصلاة الفجر وقد أعدوا سيوفهم ولم تسمح لهم أخلاقهم التي جبلوا عليها واستمدوها من البيئة العربية أن يفتحوا البيت أثناء الليل حتى لا يروا النساء رغم أن باب البيت كان ضعيفًا جدًا وكانوا يستطيعون أن يدخلوا من النافذة أو يتسلقوا الجدار ولكنهم لم يفعلوا .

وخرج عليهم الرسول ﷺ وفي يده حفنة من التراب ألقاها عليهم أثناء خروجه وهو يقرأ قوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا**

فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ [يس: ٨] . ونام الشبان وهم واقفون وخرج النبي ﷺ دون أن يشعروا به .

واستيقظ الكفار بعد فترة ونظروا من ثـقب الباب وفهموا أن النائم هو محمد ﷺ ولما اسـتبطأوا خـروج النبي ﷺ وخـرج عليهم علـي رضي الله عنه أحسـوا بالخيبة والحـسرة وفكر أحدهم في قتل علي فزجروه وأمر أبو جـهل بسرعة البحث عن محمد ﷺ .

كان الرسول ﷺ قـد مر على أبى بكر رضي الله عنه وأخذه معـه واتجها إلى غار ثور في الطريق إلـى اليمن لتضليل الطالبين والبـاحثين عنهم ومـعهم دليل من المشركين هو عبد الله بن أريقط ولكنه كان أمينًا يرعى الأمانة في عمله .

كان التخطيط للهـجرة بارعًا ؛ على ينام في فراش النبي ﷺ وعامر بن فـهيرة يعد الركـائب ويسير بغنمه ليـضلل قصاصي الأثر الذين يسـتدلون على الناس بآثار الأقدام عـبد الله بن أريـقط دليل وهو بارع في معـرفة دروب الصـحراء وشـعاب الجبال والطرق المختـصرة ويتصف بالأمانة ، أسماء تحمل الـطعام إليهم في الغار ، عبد الله بن أبي بكر يأتي لهم بالأخبار ، الاتجاه أولاً ناحية طريق اليمن .

الرسول ﷺ وصاحبه في الغار

كان أبو بكر قلقًا على رسول الله ﷺ يريد أن يفـديه بنفسه إذا تعرض لمكروه وكان مرة يسيـر أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومـرة عن يساره ، ولما وصلا إلى غار ثور وهم الرسـول ﷺ بدخوله قال له أبو بكر انتظر يا رسـول الله حتى أنظر في الغار لئلا يكون فيـه شيء يؤذيك ، ودخل أولاً إلى الغار وأخذ يقطع من ثوبه ويسد الفرج (الثقـوب) حتى لا تخرج منها الحشرات والثـعابين إلا موضع ثقب لم يجد مـا يسده به فدعا الرسـول ﷺ فدخل النبي ﷺ واستلقى نائمًا واضـعًا رأسه على فخذ أبي بكر فـخرج ثعبان من الفرجة التى لم تسـد ولدغ أبا بكر فبكى وكتم

آلامه لئلا يزعج النبي ﷺ ويوقظه مـن نومه فسقطت عبرات (دمـوع) من عينيه على خد النبي ﷺ فانتـبه الرسول ﷺ وقال له ما لك يـا أبا بكر فأشار إلى رجله فتفل عليها النبي ﷺ فبرأت .

وعلى باب الغار نـسج عنكبوت نسيـجًا كثيـفًا جدًا وكأنه بـالغ القدم وباضت حمامتان ونبتت في الحال شجرة تبدو وكأنها عتيقة (قديمة) .

وجاء أعداء الله يبـحثون عن الرسول ﷺ ، وصاحـبه - رضي الله عنه - ، وأبو بكر يســمع صوت أقدامـهم ، ويقول للـرسول ﷺ خائفًا : لو نظـر أحدهم تحت قدميـه لرآنا ، فيقول له الرسـول ﷺ ما بالك باثنين الله ثالثهـما لا تحزن إن الله معنا .

وبعد ثلاثة أيام وقـد انصرف الكفار ، وكف الطلب وفشل سـراقة بن مالك في القبض على الرسول ﷺ وصاحبه بعد أن طمع في المكافأة التي رصدتها قريش لمن يأتيهم بمحمد ﷺ حيًا أو ميتًا وهي مـائة ناقة ، وساخت أقدام فرس سراقة في الرمال ثلاث مرات حـتى أعلن ندمه وتوبته وإسلامه وتعـهد بأن يصرف عنهم من يطلبهم .

ووعده الرسول ﷺ بسواري كسرى (سوار مرصع بالأحجار الكريمة) فطلب كتابًا بذلك فكتبه له أبو بكر إذ كان الرسول ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب وكان علمه كله من الله تعالى دون واسطة من الناس .

★ استئناف المسير ★

اتجه الرسول ﷺ أولاً تجاه اليمن ، ثم عاد من طريق آخر نحو المدينة ، فاتجه الباحثون عن الرسول ﷺ نحو اليمـن ، بينما كان الرسول ﷺ قد قارب الوصول إليها . . وخاب أملهم وضل سعيهم .

★ في خيمة أم معبد ★

أثناء سير الرسول ﷺ ومن معه في الطريق الطويل الشاق أخذ يعضهم الجوع ويلهب أجوافهم العطش ، فنظروا هنا وهناك فشاهدوا على البعد خيمة منفردة فقصدوا إليها ولما أتوها رأوا امرأة تقف بباب الخيمة فسألوها عن صاحب الخيمة فأخبرتهم أنه زوجها وأنه خرج يرعى غنمه . . .

فسألوها : هل عندك من طعام أو شراب ؟ فاعتذرت بأنه لا يوجد لديها (عندها) إلا نعجة عجفاء (هزيلة مريضة) ليس بها من حلب ، فأشار إليها الرسول ﷺ أن تحضرها فأحضرتها مندهشة .

ثم طلب منها الرسول ﷺ إناءاً فأحضرت الإناء فمسح النبي ﷺ ضرع (ثدي) النعجة (أنثى الخروف) وحلبها فامتلأ الإناء فسقى من معه وشرب حتى ارتووا جميعًا وبقيت بقية في الإناء لأم معبد ، وإذا بالنعجة سليمة تجري في نشاط داخل الخيمة .

ثم شكر الرسول ﷺ أم معبد وانصرف ومن معه وهي مندهشة متعجبة لما حدث ولما رأت من البركات وخوارق العادات ، وظلت تتابع الركب ببصرها حتى غاب عن ناظريها في الصحراء .

ولما حضر زوجها وقصت عليه قصتها وقصة الركب قال لها : ما هي صفاته فوصفته ﷺ بأحسن وصف وأجمله ، فقال لها زوجها : نعم إنه الذي تبحث عنه قريش إنه رسول الله . . وركب جواده متجهًا إلى المدينة مهاجرًا إلى الله ورسوله .

❋❋❋

★ وصول الرسول ﷺ إلى المدينة ★

كان أهل المدينة يخرجون كل يوم ينتظرون وصول الرسول ﷺ وهناك عند ثنيات الوداع في مدخل المدينة وقف المسلمون في شوق ينتظرون وصول النبي وطال الانتظار . . وكادوا ينصرفون فنادى رجل من فوق نخلة . . يا قوم هذا هو ركب رسول الله ﷺ قادم من بعيد . . . وما إن وصل النبي ﷺ حتى استقبله المسلمون فرحين مكبرين ومنشدين :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبًا يا خير داع

وبنى الرسول ﷺ في قباء أول مسجد في الإسلام . . وبعد تحرك موكب الرسول ﷺ إلى داخل المدينة المنورة التي سميت بمدينة الرسول أو المدينة المنورة .

والتف الناس حول ناقة الرسول ﷺ كلهم يطلب من الرسول ﷺ أن ينال شرف ضيافته ﷺ وكانوا يتزاحمون على جذب الناقة وهو يقول لهم : « دعوها فإنها مأمورة » . وظلت الناقة في سيرها حتى بركت في مكان ، تم بناء المسجد فيه وأمر الرسول ﷺ بتسوية أرضه وتنقيتها من العظام وتطهيرها بعد أن اشتراها بالثمن من صاحبها ولم يقبل أن يأخذها منه بلا ثمن وهكذا كان بناء المسجد النبوي بداية لتربية الرجال وتثبيت الدعوة وتدعيم أركان الإسلام وتثبيت العقيدة فكان المسجد بمثابة مكان للعبادة ومكان للندوة ومدرسة لتعليم العلم ، فالمسجد في الإسلام هو أول مبنى يبنى وهو أهم مؤسسة في البلد المسلم ، يتخرج فيه العلماء وتؤدى فيه العبادة ويبحث فيه حل مشكلات المسلمين وغير ذلك من شئون الدين ومصلحة الدولة الإسلامية .

★ الرسول ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري ★

أبنائي الأعزاء :

لما اشترى الرسول ﷺ قطعة الأرض التي بركت فيها الناقة من سهل وسهيل ابني عمرو وشرع في بناء المسجد ، استضافه أبو أيوب الأنصاري ، حتى يتم بناء المسجد ومنزل الرسول ﷺ ، قال أبو أيوب للنبي ﷺ اسكن أنت الدور العلوي وأنا الدور الأرضي من بيتي . فأنا لا أحب أن أكون فوق رسول الله ﷺ أي أعلى منه في السكن فاختار النبي ﷺ الدور الأرضي وقال لأبي أيوب : إني يأتيني الناس كثيرًا وإذا كنت في الأعلى شق ذلك عليهم وعليك .

وتم بناء المسجد وجعل سقفه من النخيل وأرضه من الحصباء (الحصى) بلا فرش ، ومع أن هذا المسجد كان بسيط البناء لا أثاث فيه ولا رياش فإنه خرج أعظم الرجال الذين نصروا الإسلام وفتحوا البلاد ونشروا الإسلام والعدل في كل مكان، مثل أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وغيرهم .

وبنيت حجرات النبي ﷺ بناء متواضعًا من أخشاب النخيل والسعف وفرشت أرضه بالحصر ، وجعل الرسول ﷺ لكل زوجة من زوجاته حجرة في هذا البيت وجعل له باب إلى المسجد ، ليتيسر له ﷺ إمامة الناس في المسجد وتعليمهم القرآن والسنة وبحث أمور المسلمين في هذا المسجد فالمسجد هو الأساس في إقامة الدولة الإسلامية وبعده تأتي الأسرة المسلمة التقية .

★ بناء الدولة الإسلامية ★

آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار وعقد معاهدات مع اليهود معاهدات عدم اعتداء وحماية للمدينة من الأعداء الخارجين ولكن اليهود لم يفوا

بعـهودهم ، كـان وما زال هذا دأبهم بل وصل بهم الحـال أن تعاهدوا مـع أعداء الرسول على قتاله بل حاولوا قتله ﷺ بإلقاء حجر على رأسه الشريف .

وإلى جانب المؤاخـاة بين المسلمين فإن الرسول ﷺ قـد أذاب الفوارق وألغى العنصرية وسـاوى بين الناس في الحقوق والواجبات ونـزل قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ . وقال الرسول ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» .

وأراد النبي ﷺ أن يقوي بنيان الدولة ليتـفرغ للدعوة إلى الله ونشر الإسلام والعدل بين الناس ويبلغ رسالة ربه إلى الناس كافـة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، ويخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الواحد الديان ومن جور الأديان السابقة المحرفة إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة .

وهكذا أصبح للدولة الإسلامية الجديدة وجود وصوت مسموع وصولة (قوة ورهبة) تحسب لها ألف حساب . كـان المسلمون يحرصون على الموت فوهبت لهم الحيـاة ودكوا عروش القيـاصرة والأكاسـرة ودخل الناس في دين الله أفواجًا وفي بضع عشـرات من السنين وصلت حدود الدولة الإسلاميـة إلى حدود الصين وإلى جنوب فرنسا وإلى الأندلس المعروفة بأسبانيا الآن .

كانت فتوح الإسلام فتوح خير ورحمة للناس حيث انتشر العدل ومحى الظلم وعبد الله وحده وعم الخير والرخاء والمساواة بين الناس .

مولد عبد الله بن الزبير :

كان أول مولود في المدينة من المهاجرين هو عبد الله بن الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق زوجة الزبير بن العوام .

وكان اليهود قد أشاعوا أنهم سحروا المهاجرين فلا يولد لهم ولد ، وجئ بعبد الله إلى الرسول ﷺ تحمله أمه أسماء فباركه الرسوله ودعا له ووضع ريقه في فمه وحنكه بالتمـر أي مضغها ثم مـسح بها فمه وهذا التـحنيك سنة من سنن الإسلام نسيت في هذه الأيام للأسف الشديد لأن الناس إذا أحدثوا بدعة تركوا سنة ، وقد

أصبح لعبد الله بن الزبير شأن كبير عندما كبر وصار رئيسًا للدولة الإسلامية في عصره لمدة ثلاث عشرة سنة إلى أن قتل شهيدًا على يد جيش بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق ، وكان صبر أمه أسماء وموقفها من الحجاج مضرب المثل في الصبر والشجاعة ، فقد كانت نساء المسلمين يربين أبناءهن - على البطولة والشجاعة والجهاد والدفاع عن الإسلام - تربية جادة بعيدة عن الخلاعة والمجون ، تربية تقوم على العقيدة الصحيحة والعبادة والبذل والعطاء والتضحية ومكارم الأخلاق ، ولذلك كان المسلمون الأوائل أقوياء أعزاء لا ترهبهم قوى الكفر والطغيان لأنهم كانوا متمسكين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وكانوا لا يخشون في الحق لومة لائم ولا يرهبون الموت في سبيل الله .

★ زوجات النبي ﷺ ★

أبنائي الأعزاء :

مكث الرسول ﷺ أكثر من خمس وعشرين سنة لم يتزوج على السيدة خديجة حتى ماتت رضي الله عنها ، ثم تزوج ﷺ بأمر من الله تعالى عددًا من الزوجات لحكم بالغة ؛ تزوج عائشة بنت أبي بكر ليدعم العلاقة بينه وبين أبي بكر وزيره الأول ، وقد نزل جبريل عليه السلام بصورتها على الرسول ﷺ وقال له هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .

وتزوج حفصة بنت عمر بعد أن ترملت لدعم العلاقة بينه وبين وزيره الثاني عمر بن الخطاب .

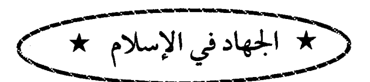
وتزوج سودة بنت زمعة وهي سيدة كبيرة السن لترعى بناته .

وتزوج ابنة عمته زينب بنت جحش لإلغاء التبنى .

وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الذي ارتد زوجها وصمدت واستمرت على إسلامها وهي ابنة من كان زعيمًا للمشركين أبو سفيان بن حرب .

وتزوج صفـية بنت حيى بن أخطب ليـؤلف قلوب اليهود فقـد كان أبوها من كبار زعماء اليهود .

وتزوج جويرية بنت الحارث المصطلقية بنت زعيم بني المصطلق بعد أن سبيت في الحرب لتـأليف قلب أبيهـا وقومهـا وأطلق سراح أسراهم فـدخلوا جمـيعًا في الإسلام ، وهكذا كانت زيجاته لحكم سامية ولصالح الإسلام .



★ الجهاد في الإسلام ★

أبنائي الأعزاء

الإسلام يدعو للجـهاد لحماية المسلمين والعـقيدة ضد جيـوش الكفر والشرك ولتحقيق العدل والحرية والمساواة ونبذ العصبية ودحر (هزيمة) الظلم لأن الحق إذا لم يكن معه قوة تحميه ضاع واندحر .

وجهـز الرسول ﷺ المسلمين لزعزعة قـوة قريش وهيبـتها لأن القبـائل كانت تبعث لقريش شبـابها وتقتدي بها في عداوتها للمـسلمين ، وكان المسلمون يطلبون من الرسول ﷺ أن يأذن لهم بالقـتال دفاعًا عن أنفسـهم وعقيدتهم وحـريتهم ضد الظلم والقهر والغصب والقـتل الذي كان ينزله بهم أعداء الله فكان ﷺ يقول لهم اصبروا فلم أؤمر بقتال . . . حتى نزل قوله تعالى :

﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغيـر حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ وتوالت الآيات تحرض المؤمنين على القتال وتبين ثواب الجهاد وما أعده الله تعالى للمجاهدين والشهداء .

وكذلك بينت السنة النبـوية فضل الجهاد في أحـاديث كثيرة مـثل قوله ﷺ : «ما من كَلْم يُكْلَم في سـبيل الله إلا جاء يوم القيـامة اللون لون الدم والريح ريح المسك » وغير ذلك من الأحاديث التي يرجع إليها في كتب السنة .

★ غزوة بدر الكبرى ★

بني العزيز بنيتي العزيزة :

علم رسول الله ﷺ أن عيرًا (قوافل) لقريش راجعة من التجارة من الشام وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب زعيم مكة ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر جنديًا . . . ولم يكونوا متجهزين لحرب وإنما لأخذ القافلة لتعويض بعض خسائر المسلمين ولتهديد طريق تجارة قريش إلى الشام . . فلما بلغ «ماء بدر » لم يجدوا القافلة ؛ لأن أبا سفيان علم بخروج محمد ﷺ فغير طريقه ونجا بتجارته . وأرسل يخبر أهل مكة بالأمر ، ويطلب منهم النجدة ، فخرج كبار الزعماء من قريش بقيادة أبي جهل عمرو بن هشام ومعه عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف على رأس حوالى ألف من المشركين . . وبينما هم في الطريق علموا أن عير أبي سفيان نجت . . فقال القوم: نرجع مكة ولا داعي للمسير . . قال أبو جهل: لن نرجع حتى نقيم ثلاث ليال هناك عند بدر ننحر الإبل وتضرب الدفوف ونشرب الخمر وتعلم القبائل بخروجنا فيهابوننا ويعرفون قدرنا .

وعلم النبي ﷺ بما نوته قريش فجمع الناس وقال لهم : « أيها الناس أشيروا علي » فوقف أبو بكر متحدثًا ثم عمر ثم المقداد فأحسنوا القول وكان من قول المقداد بن عمرو : « يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو خضت بنا البحر لخضناه معك ، فدعا له رسول الله ﷺ بالخير .

وأراد الرسول ﷺ أن يستوثق من موقف الأنصار حيث أن المسلمين كانوا قليلي العدد والعدة والكفار ثلاثة أضعافهم فقال ﷺ : « أشيروا علي أيها

الناس»، فوقف سعد بن معاذ وقال : والله كأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، فقال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ، فسر بنا على بركة الله .

سر رسول الله ﷺ بما سمع وقرت عينه وانشرح صدره فقال: « سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين (العير أو النفير) والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » .

وتحرك المسلمون حتى إذا وصلوا منطقة بدر أشار عليهم الحباب بن المنذر أن يجعلوا الماء وراءهم حتى يحرموا العدو منه ، وأصبح الفريقان على قرب ، وصنع المسلمون للرسول ﷺ عريشة يكون فيها .

ووقف ﷺ ونظم جنده وأعطاهم البشرى وحثهم على القتال وقال : والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل منكم صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة .

ورفع الرسول ﷺ يديه يدعو ربه قائلاً : اللهم هذه قريش قد أتت بخيلها وخيلائها تريد أن تكذب رسولك ،اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض بعد اليوم ، ولأن عدد المسلمين قليل ، فقد استغاثوا بالله أن يرهب عدوهم . . فنزل قوله تعالى :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [الأنفال : ٩ - ١٠] .

وأخذ العطش قريشًا ، وأرادوا أن يشربوا من حوض الماء الذي هو في حماية المسلمين وخرج منهم « الأسود بن عبد الأسد» ، وأراد أن يأتي الحوض .

فتصدى له « الحمزة بن عبد المطلب » وضربه بسيفه في رجله فسال الدم ورأت قريش المنظر وهاج المشركون ونزل منهم إلى ميدان المبارزة ثلاثة هم « عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة ، والوليد بن عتبة » .

فأشار النبي ﷺ إلى علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ، فخرجوا لهم وما هي إلا لحظات حتى صرعوا المشركين الثلاثة .

ودارت المعركة وقتل من المشركين سبعون منهم أبو جهل ، وأمية بن خلف .

وقتل أبو البختري بن هشام ، وأسر سبعون من المشركين وفر الباقون وانتصر المسلمون بفضل الله ورحمته .

وكان لهذه الموقعة وهي أول حرب بين المسلمين والكفار أثر بالغ وصدى عميق لدى القبائل المجاورة للمدينة .

وبعد ذلك دارت مواقع كثيرة بين المسلمين والمشركين من قريش والقبائل العربية ومنها غزوة أحد التي انتصر فيها المشركون بعد هزيمتهم بسبب عصيان الرماة (رماة السهام) لأمر رسول الله ﷺ بعدم ترك أماكنهم حتى يأمرهم ، فانتهزها خالد بن الوليد وعاد بالجيش بعد انسحابه وهجم على ظهور المسلمين فأوقع فيهم القتل حتى كاد رسول الله ﷺ أن يقتل وجرح وكسرت بعض أسنانه ﷺ .

ثم كانت وقعة الخندق التي رد الله فيها الكافرين لم ينالوا خيرًا .

ثم كانت وقعات بين المسلمين واليهود انتهت بطردهم من جزيرة العرب وقتل الكثير من رجالهم بسبب غدرهم وخيانتهم ونقض عهودهم ومحاولة قتل النبي ﷺ .

واستشهد من المسلمين كثير من خيرة الرجال .

وقد ورد وصف هذه الغزوات فى القرآن في سورة الأنفال وسورة آل عمران وسورة التوبة وغيرها .

وفي فضل الشهداء روى الترمذي وصححه أن النبي ﷺ قال: « للشهيد عند الله ست خصال : يغـفر له في أول دفعة[١] ، ويرى مقعده[٢] من الجنة ، ويجار من عذاب الـقبر ، ويأمـن الفزع[٣] الأكـبـر ، ويوضع على رأسـه تاج الوقـار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه » .

❊ ❊ ❊

---

(١) أى فى أول دفعة من دمه .

(٢) قصره فى الجنة .

(٣) فزع يوم القيامة .

★ شهداء الغزوات الإسلامية الشهيرة ★

★ شهداء غزوة بدر الكبرى ★

١٧ رمضان سنة ٢ هـ .

١ - مهجع مولى عمر بن الخطاب .
٢ - معوذ بن عفراء .
٣ - عوف بن عفراء .
٤ - حارثة بن سراقة .
٥ - رافع الأنصاري .
٦ - يزيد الأنصاري .
٧ - صفوان الفهري .
٨ - عاقل بن البكير .
٩ - مبشر الأنصاري .
١٠ - ذو الشمالين .
١١ - سعد بن خيثمة .
١٢ - عمير بن الحمام .
١٣ - عمير بن أبي وقاص .
١٤ - عبيدة بن الحارث .

***

★ شهداء غزوة أحد ★
٧ شوال سنة ٣هـ ٢٣ مارس ٦٢٥ م

١ - أبو هبيرة بن الحارث .
٢ - عامر بن مخلد.
٣ - عباد بن سهل
٤ - اليمان بن جابر .
٥ - عبيد بن التيهان .
٦ - إياس بن أوس .
٧ - حبيب بن زيد .
٨ - يزيد بن حاطب .
٩ - أبو سفيان بن الحارث .
١٠ - حنظلة بن عامر (الغسيل) .
١١ - أنيس بن قتادة .
١٢ - أبو حبة بن عمرو .
١٣ - عبد الله بن جبير .
١٤- ثابت بن عمرو .
١٥ - قيس بن عمرو .
١٦ - عمرو بن قيس .
١٧ - الحارث بن عدي .
١٨ - عمير بن عدي .
١٩ - أوس بن ثابت .
٢٠ - صيفى بن قيظي .
٢١ - حباب بن قيظي .
٢٢ - مالك بن أوس .
٢٣ - سبيع بن حاطب .
٢٤ - عبد الله بن سلمة .
٢٥ - خيثمة .
٢٦ - رفاعة بن وقش .
٢٧ - ثابت بن وقش .
٢٨ - عمرو بن ثابت .
٢٩ - سلمة بن ثابت .
٣٠ - الحارث بن زياد .
٣١ - عمارة بن زياد .
٣٢ - الحارث بن أوس .
٣٣ - عمرو بن معاذ .
٣٤ - حمزة بن عبد المطلب (سيد الشهداء) .

٣٥ - عمرو بن مطرف .
٣٦ - مالك بن غيلة .
٣٧ - مصعب بن عمير .
٣٨ - عبد الله بن جحش .
٣٩ - ديناس بن عدي .
٤٠ - سليم بن عمرو .
٤١ - عنترة مولى سليم .
٤٢ - سهيل بن قيس .
٤٣ - ذكوان بن عبد قيس .
٤٤ - عبيد بن المعلى .
٤٥ - عمرو بن الجموح .
٤٦ - عبد الله بن عمرو .
٤٧ - مالك بن إياس .
٤٨ - المجذر بن زياب .
٤٩ - النعمان بن مالك .
٥٠ - العباس بن عباد .
٥١ - عبادة بن الحسحاس .
٥٢ - نوفل بن عبد الله .
٥٣ - عمرو بن إياس .
٥٤ - ضمرة بن حليف .
٥٥ - عبد الله بن عمرو بن وهب .
٥٦ - ثقيف بن فروة .
٥٧ - ثعلبة بن سعد .
٥٨ - عتبة بن ربيع .
٥٩ - سعيد بن سويد .
٦٠ - مالك بن سنان .
٦١ - أوس بن الأرقم .
٦٢ - سعد بن الربيع .
٦٣ - خارجة بن زيد .
٦٤ - كيسان .
٦٥ - قيس بن مخلد .
٦٦ - أنس بن النضر .
٦٧ - شماس بن عثمان .
٦٨ - سعد مولى حاطب .
٦٩ - أبو حسنة .
٧٠ - خلاد بن عمر .
٧١ - أبو أيمن .

***

★ شهداء غزوة الخندق ★

ذو القعدة سنة ٥ هـ ، أبريل سنة ٦٢٧ م

١ - كعب بن زيد .
٢ - سعد بن معاذ .
٣ - أنس بن أوس .
٤ - الطفيل بن النعمان .
٥ - قيس بن زيد .
٦ - عبد الله بن أبي خالد .
٧ - عبد الله بن سهل .
٨ - ثعلبة بن عثمة .

★ شهداء غزوة بني قريظة ★

ذو القعدة سنة ٥ هـ

١ - أبو سنان .
٢ - خلاد بن سويد .

★ شهداء غزوة خيبر ★

٧ هـ ، مايو يونية سنة ٦٢٨ م

١ - مبشر بن المنذر .
٢ - عامر بن الأكوع .
٣ - عمارة بن عقبة .
٤ - الأسود الراعي .
٥ - ثابت بن واثلة .
٦ - أنيف بن حبيب .
٧ - أوس بن الفاكه .
٨ - عروة بن مرة .
٩ - أوس بن قتادة .
١٠ - الحارث بن حاطب .

١١ - فضيل بن النعمان .

١٢- بشر بن البراء .

١٣ - عبد الله بن الهبيب .

١٤ - مسعود بن ربيعة .

١٥ - رفاعة بن مسروح .

١٦ - ربيعة الأسدي .

١٧ - مسعود بن سعد .

١٨ - محمود بن مسلمة .

١٩ - أبو ضياح .

★ شهداء غزوة مؤتة ★

جمادى الأولى سنة ٨هـ

١ - عامر بن سعد .

٢ - عمرو بن سعد .

٣ - جابر بن عمرو .

٤ - أبو كليب .

٥ - سراقة بن عمرو .

٦ - عباد بن قيس .

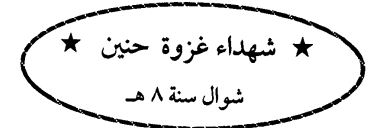
٧ - وهب بن سعد .

٨ - مسعود بن الأسود .

٩ - عبد الله بن رواحة .

١٠ - جعفر بن أبي طالب .

١١ - زيد بن حارثة .



★ شهداء غزوة حنين ★

شوال سنة ٨ هـ

١ - أيمن بن عبيد .

٢ - يزيد بن زمعة .

٣ - سراقة بن الحارث

٤ - أبو عامر الأشعري .

★ شهداء غزوة الطائف ★
المحرم ٨ هـ

١ - رقيم بن ثابت بن ثعلب .
٢ - المنذر الأنصاري .
٣ - الحارث بن سهل .
٤ - ثابت بن الجذع .
٥ - حليجة بن الليث .
٦ - عبد الله بن الحارث .
٧ - السائب بن الحارث .
٨ - عبد الله الأكبر .
٩ - عبد الله بن أبيه .
١٠ - عبد الله بن أبي بكر .
١١ - عرفطة بن جناب .
١٢ - سعيد بن سعيد .

❋ ❋ ❋

★ أسماء الغزوات ★
٢٩ غزوة

١ - غزوة الأبواء (أو ودان) صفر ٢ هـ .

٢ - غزوة بواط ربيع الأول ٢ هـ .

٣ - غزوة ذي العشيرة جمادى الأولى ٢ هـ .

٤ - غزوة سفوان (بدر الأولى) جمادى الآخرة ٢ هـ .

٥ - غزوة بدر الكبرى ١٧ رمضان ٢ هـ .

٦ - غزوة بني قينقاع شوال ٢هـ .

٧ - غزوة بني سليم شوال ٢هـ .

٨ - غزوة السويق ذو الحجة ٢ هـ .

٩ - غزوة غطفان المحرم ٣ هـ .

١٠ - غزوة الفرع ربيع الآخر ٣ هـ .

١١ - غزوة أحد ٧ شوال سنة ٣ هـ ٢٣ مارس ٦٢٥م .

١٢ - غزوة حمراء الأسد شوال ٣هـ .

١٣ - غزوة بني النضير ربيع الأول ٤هـ .

١٤ - غزوة ذات الرقاع شعبان ٤هـ .

١٥ - غزوة بدر الأخيرة شعبان ٤هـ .

١٦ - غزوة دومة الجندل ربيع الأول ٦هـ .

١٧ - غزوة بني المصطلق (المريسيع) شعبان ٥هـ .

١٨ - غزوة الخندق ذو القعدة ٥هـ أبريل ٦٢٧م .

١٩ - غزوة بني قريظة ذو القعدة ٥هـ .

٢٠ - غزوة بني لحيان جمادى الأولى ٦هـ .

٢١ - غزوة ذي قرد جمادى الأولى ٦هـ .

٢٢ - غزوة الحديبية ذو القعدة ٦هـ .

٢٣ - غزوة خيبر المحرم ٧هـ مايو - يونيو ٦٢٨ م .

٢٤ - غزوة وادي القرى ٧هـ .

٢٥ - غزوة مؤتة جمادى الأولى ٨هـ .

٢٦ - غزوة فتح مكة ، ١٧ رمضان ٩هـ ١ يناير سنة ٦٣٠م .

٢٧ - غزوة حنين شوال ٨هـ .

٢٨ - غزوة الطائف شوال ٨هـ .

٢٩ - غزوة تبوك (العسرة) رجب ٩هـ .

وهي الغزوات التي حضرها رسول الله ﷺ أما السرايا وهي التي لم يحضرها الرسول ﷺ فعددها ٤٧ سرية .

❊ ❊ ❊

★ وقعة بني قريظة ★

بعد أن انتهت غزوة الأحزاب دخل الرسول ﷺ المدينة ليستريح ، وبينما هو يغتسل ويتوضأ إذا بجبريل يطرق الباب فأسرع الرسول ﷺ والماء يقطر منه فقال له جبريل : بادر بتأديب بني قريظة وقاتلهم على غدرهم وخيانتهم فقال رسول الله ﷺ يا عائشة : إن جبريل سبقني في جيش من الملائكة إلى بني قريظة وأمر الرسول ﷺ مناديًا ينادي : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

وأرسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب يستحث الأمر ومعه نفر من الصحابة فحاصرهم ، وتدبر اليهود الأمر ورفضوا الخروج وطال الحصار ويئس اليهود ورضوا بأن يحكم فيهم : سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم بأن يقتلوا وتقسم الأموال ، وتسبى النساء والصغار ، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة (سبع سموات) » .

وما لبث سعد إلا قليلاً حتى توفي من أثر جراحة فيه .

وهكذا نال بنو قريظة جزاء خيانتهم للرسول ﷺ والمسلمين إذ تحالفوا مع المشركين من قريش وفزارة وغطفان وغيرهم من القبائل التي أتت لتمحو دولة الإسلام من المدينة ، فهم لا إيمان لهم ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة .

❋❋❋

★ صلح الحديبية ★

استنفر الرسول ﷺ الأعراب من حول المدينة وخرج متجهًا إلى مكة لأداء العمرة وساق معه الهدي ، وسار بدون حمل السلاح . . وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة في شهر ذي القعدة .

وذلك بسبب رؤيا رآها أنه يدخل المسجد الحرام مع المسلمين محلقين رؤوسهم ومقصرين يؤدون العمرة .

لما وصل الرسول ﷺ إلى منطقة الحديبية كانت قريش قد علمت بخروجه متوجهًا إلى مكة فحشدت رجالها وأخبرته أنها لن تسمح للمسلمين بدخول مكة غصبًا .

أمر الرسول ﷺ المسلمين أن ينزلوا بالحديبية ، ثم بدأ يفاوض قريشًا ، وكانت قريش قد أرسلت سفارة إلى النبي ﷺ بأن يرجع ولا يدخل مكة ، وكان الرسول ﷺ قد أرسل عثمان بن عفان لمفاوضتهم فتأخر كثيرًا وسرت شائعة أنه قتل فأخذ رسول الله ﷺ من أصحابه البيعة على القتال ثم عاد عثمان رضي الله عنه ، وأرسلت قريش ثلاثة من رجالها للتفاوض مع رسول الله ﷺ وتوقيع معاهدة صلح وهم مكرز بن حفص ، وعروة بن مسعود ، وسهيل بن عمرو .

وكانت البيعة التي تمت تحت الشجرة قد سميت بيعة الشجرة وبيعة الرضوان، ونزل قوله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا** ﴾ [الفتح :١٨] .

*** وكانت بنود المعاهدة كالتالي :**

١ - هدنة بين الطرفين عشر سنوات .

٢ - من أراد أن يدخل في حلف قريش فليدخل ومن أراد أن يدخل في

حلف محمد فليدخل .

٣ - من أتى محمدًا من قريش هاربًا يرد إلى قريش ومن أتى قريشًا هاربًا مرتدًا من عند محمد فلا ترده لمحمد .

٤ - أن يرجع المسلمون هذا العام ويأتوا العام القادم يدخلون مكة فتخليها لهم قريش ثلاثة أيام .

غضب المسلمون لهذه الشروط المجحفة (الظالمة) ولكن الرسول ﷺ هدأهم وطمأنهم إلى نصر الله القريب وكان على رأس المعارضين عمر بن الخطاب ، وأمر الرسول ﷺ المسلمين أن يحلقوا رؤوسهم بعد أن يذبحوا الهدي (الأنعام التي تهدى للحرم) فامتنعوا فدخل الرسول ﷺ على أم سلمة وقال لها هلك المسلمون يا أم سلمة . قالت لماذا يا رسول الله ؟ قال: أمرتهم أن يذبحوا الهدي ويحلقوا فأبوا . فقالت يا رسول الله امض واذبح هديك وادع بالحلاق ولا تكلم منهم أحدًا فلما فعل ذلك رسول الله ﷺ تسابقوا في ذبح الهدي وحلق بعضهم لبعض، فنعم المشورة كانت من أم سلمة رضى الله عنها .

ثم ضاقت قريش برجال هربوا منها وأسلموا وصاروا يقطعون عليهم طريق التجارة حتى طلبت من الرسول ﷺ أن يأخذهم عنده ويكفهم عنهم .

ونزل تحريم رد النساء المسلمات إلى الكفار ورد المهور إلى رجالهم وتفرغ الرسول والمسلمون لتوعية الدولة الإسلامية وتأديب القبائل المتمردة وعقد المحالفات والمواثيق وإرسال الرسل إلى الملوك ليدخلوا في الإسلام ، وإرسال السفراء واستقبال الوفود إلى أن انتهكت قريش المعاهدة وقتلوا رجال فى حلف النبي ﷺ فتحرك إليهم الرسول ﷺ لفتح مكة ، وقد كان وتم فتح مكة في السنة العاشرة للهجرة .

❊ ❊ ❊

★ فتح خيبر ★

أبنائي الأعزاء:

تجمعت فلول اليهود من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع في خيبر وجعلوها مقرًا لأعداء الإسلام، وكانت خيبر مدينة حصينة ذات حضارة زراعية وحربية ، وكانت مجاورة لقبيلة مشركة معادية للمسلمين هي قبيلة غطفان .

وكان لا بد من تأديب هؤلاء المجرمين الذين يشكلون خطرًا على الدولة الإسلامية من ناحية الشمال فقرر الرسول ﷺ غزوهم في أواخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة .

تحرش المسلمون بهم فتحصنوا داخل حصونهم وجبنوا عن الخروج للقتال ، وبدأت مناوشات المسلمين بقيادة أبي بكر ثم عمر فلم يخرج اليهود وغطفان للقتال، فقال الرسول ﷺ لأعطين الراية غدًا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، فأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ودعا له بالتوفيق والنصر وكانت عينه بها رمد فتفل عليها رسول الله ﷺ فبرأت ، وتقدم علي نحو خيبر ونادى طالبًا المبارزة فخرج له فارس اسمه مرحب من أشجع فرسان اليهود ، خرج مرحب منشدًا أشعار الفخر والسخرية من علي ، ودارت المبارزة فضرب مرحب ضربة تجاه علي فتلقاها بدرعه ثم هوى علي على مرحب بضربة قوية شجت رأسه وتركته ينزف دماء غزيرة ، وهلل المسلمون ، وهجموا على حصون اليهود فدمروها وأخذوا ما فيها من أموال، وفر اليهود هربًا وسبيت (أسرت) نساؤهم وكانت فيهم صفية بن حيي بن أخطب سيد قومه قد تنازعها قواد المسلمين، فأخذها النبي ﷺ وتزوجها بعد إسلامها .

❋ ❋ ❋

★ بعث السرايا ★

بدأ الرسول ﷺ في بعث السـرايا في أنحاء الجزيرة العربية لـتأمين الدعوة في المدينة ولإخافة قريش حتى لا ينقضوا صلح الحديبية .

١ - أرسل أبا بكر إلى بني مزرة .

٢ - أرسل عمر بن الخطاب إلى « تربة » من منطقة هوازن .

٣ - أرسل بشير بن سعد إلى بني مرة .

٤ - أرسل عبد الله بن حذافة السهمى إلى بعض النواحي .

بعد ذلك أدى رسول الله ﷺ عمرة القضاء في ذي القعدة ثم أسلم خالد بن الوليد وحسن إسلامه وسماه الرسـول ﷺ سيف الله المسلول بعد غزوة مؤتة ضد الروم واسـتطاع الانسحـاب بالجيش الـذي يضم ثلاثة آلاف أمام جـيش للروم في مائتى ألف . وقتل قواده الثلاثة عبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة رضي الله عنهم .

❊❊❊

★ فتح مكة ★

نشب قتال بين قبيلة « بكر » حلفاء قريش وقبيلة خزاعة حلفاء النبي ﷺ فاستعانت قبيلة بكر بقريش فأغارت قريش على خزاعة ، وقتلت منهم رجالاً كثيرين .

ويأتي عمرو بن سالم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ يشكو له ما حدث من عدوان قبيلة بكر وقريش على خزاعة ، فقال ﷺ : انصرف يا سالم بن عمرو وبدأ ﷺ في إعداد الجيش سرًا دون أن يعرف أحد ما هي النية وإلى أي مكان سيتجه الجيش .

تنبهت قريش إلى أنها نقضت العهد مع النبي ﷺ والمسلمين بعدوانهم على حلفاء النبي ﷺ من خزاعة ، فذهب أبو سفيان إلى المدينة فتوجه إلى أبي بكر يطلب منه الوساطة لدى رسول الله ﷺ فرفض أبو بكر ، ثم توجه إلى عمر فرفض ، ثم ذهب إلى ابنته أم حبيبة زوجة النبي ﷺ فأشاحت عنه بوجهها ، فأراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ فأخذته من تحته وقالت له : هذا فراش رسول الله ﷺ لا تجلس عليه لأنك مشرك نجس . . فعاد أبو سفيان إلى مكة خائبًا .

وتحرك النبي ﷺ بجيش قوامه عشرة آلاف فارس متجهًا نحو مكة يشق الصحراء حتى إذا أتوا إلى مر الظهران عسكر رسول الله بجنده .

ركب العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ بغلة واتجه نحو مكة يعلن فيهم أنه لا جدوى من القتال لأن الرسول ﷺ أتاهم في جيش قوي كثير العدد والعدة لا قِبل لقريش به فقابله أبو سفيان ، وبديل بن ورقاء ، وطلب أبو سفيان أن يركب مع العباس بغلته ليتوجه إلى رسول الله ﷺ حتى إذا وصل وجلس بين يدي النبي ﷺ أعلن إسلامه فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل

يحب الفخر فاجعل له شيئًا فـقال ﷺ : « من دخل البيت الحرام فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهـو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، وعـاد أبو سفيان إلى مكة يعلن للناس الأمان ويقنعهم بعدم جدوى القتال .

ودخل النبي ﷺ مكة فـاتحًا بدون قـتـال إلا مـا كـان من بعض منـاوشـات قلـيلة، وفـتح الله لنبـيه ﷺ مكة وهو يقـرأ : ﴿ **إذا جـاء نصـر الله والفـتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمـد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ [سورة النصر] .

وأمر رسـول الله ﷺ بكسر الأصنام وإزالة الأوثان من الكعبـة وأمر بلالا أن يؤذن فوق الكعبة .

تجمعت قريش في الكعبة وخطبهم رسـول الله ﷺ فقال : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم .

فقال عليه الصلاة والسلام : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ».

ما أرحـمك يا رسـول الله وما أشـد تسامـحك . ودخل الناس في دين الله أفواجًا .

ثم كانت غزوة حنين التى انتصر فيها المسلمون على قبيلة هوازن .

ثم غزوة تبوك المسماة غزوة العـسرة التي أعدت لتأديب الروم في الشام الذين علم الرسول ﷺ أنهـم يعدون جيـشًا كبيـرًا لقتال المسلمين ، وتبـرع أبو بكر بماله كله، وتبرع عمـر بن الخطاب بنصف ماله ، وتبرع عثـمان بأربعة آلاف دينار ، ثم تبعه عبد الرحمن بن عوف .

❊ ❊ ❊

★ عام الوفود ★

جاءت الوفود للنبي ﷺ في هذا العام وهي وفود كثيرة فيها :

- رسول قيصر الروم .
- وصالح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح .
- وفد ثقيف « بني تميم » ، عبد القيس ، بني حنيفة ، أهل نجران ، بنى سعد ، الأشعريين ، ملوك حمير ، بني أسد ، فزارة ، مرة ، بني كلاب ، ثعلبة، أشجع ، سليم .

❊ ❊ ❊

★ حجة الوداع والوفاة ★

أبنائي الأعزاء :

نادى منادي رسول الله ﷺ في القبائل أن الرسول ﷺ سيخرج للحج هذا العام فمن أراد أن يحج فليتجهز للحج ، وخرج جمع غفير من الصحابة عدتهم مائة وأربعة عشر ألف صحابي .

ووقف الرسول ﷺ على جبل عرفة خطيبًا فيما عرف بحجة الوداع وألقى على المسلمين الكثير من التشريعات وكثيرًا من الحقوق والواجبات ، وأكد على تحريم القتل والربا ، وقال إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، وأرسى ﷺ حقوق الإنسان ووعظهم موعظة بليغة وأمرهم أن يبلغ الحاضر الغائب فلعله لا يلقاهم بعد عامهم هذا .

ثم ختم خطبته بقوله ﷺ : اللهم قد بلغت اللهم فاشهد ، فيرد عليه المسلمون ، نعم نشهد بأنك قد بلغت ، وينزل قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ فبكى أبو بكر ﷺ لأنه علم قرب وفاة النبي ﷺ ودنو أجله .

وبعد خطبة الوداع بأيام يصاب الرسول ﷺ بالحمى ثم يلزم الفراش فيوافيه الأجل ، وكان قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ويعلم الناس ، ويتزاحمون عند المنزل في حزن ودهشة واضطراب ، ثم يأتي عمر بن الخطاب وهو جزع غير مصدق بموت النبي ﷺ ويتوعد من يقول أنه مات ويقول إنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران عليه السلام لميقات ربه .

فيقوم أبو بكر على الناس ويقول :

« أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن مـحمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى :

﴿ ومـا مـحـمـد إلا رسـول قد خـلـت من قـبله الرسـل أفـإن مـات أو قـتـل انقلبـتم على أعـقابكم ومن ينقلب علـى عقبـيه فلن يضـر الله شيـئًا وسيجـزي الله الشاكرين﴾ .

هدأ روع عمر وكأنه لم يسمع هذه الآيات قبل الآن .

وكانت آخـر وصايا الرسـول ﷺ وهو يحتـضر الصـلاة الصلاة ومـا ملكت أيمانكم استوصوا بالنساء خيرًا .

اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

ثم أسر إلى السـيدة فاطمـة الزهراء بأنها أول من يلحق به فـماتت رضي الله عنها بعده بستة أشهر .

وقال لزوجاته أسرعكن لحوقًا بى أطولكن يدًا . أي أكثركن صدقة .

وكـان يقول : إن للمـوت لسكرات ، اللهم أعني على سكرات الموت وكـان كلما أفاق بل وجهه بالماء .

وتولى علي بن أبي طالب تجهيزه وغسله والصلاة عليه .

وقد حـار المسلمون كـيف يغسلون الرسـول ﷺ فسمـعوا مناديًا في حـجرته يقول: لا تنزعوا الثياب عن جسد نبيكم وغسلوه في ثيابه .

ودفن ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها .

وكانت وفاة الرسول ﷺ البلية العظمى والمصيبة الكبرى .

وفـهم الناس من أمـر الرسـول ﷺ لأبي بكر أن يصلى بالناس أنه يرشـحـه للخلافة بعده فقالوا بعد منازعـة وخلاف : أبو بكر رضيه رسول الله ﷺ لآخرتنا

أفلا نرضاه لدنيانا فولوه خلافة رسول الله ﷺ .

ثم ارتد ناس عن الإسـلام وقام ناس بمنع الزكـاة فقـاتلهم أبو بكر رضي الله عنه حتى عادت الأمور إلى نصابها ، وفي نفس الوقت أنفذ جيش أسامة الذي كان الرسول ﷺ قد أعده لقتال الروم .

وهكذا انقطع وحـي السمـاء وتمت الرسـالات وتوفي إمـام الأنبـيـاء وخـاتم المرسلين صلوات ربي وسلامـه عليه وعلى آله وصحبـه ومن اتبع رضوانه إلى يوم الدين .

❊ ❊ ❊

من إصـــدارات المكتـــبـــة

١ - أسرار خاصة للرجال علميًا وإسلاميًا
٢ - أسرار خاصة للنساء علميًا وإسلاميًا
٣ - ٣٣ سببًا للخشوع فى الصلاة
٤ - ٣٠ سببًا لسعادة الدارين
٥ - أريد أن أتوب ولكن
٦ - ماذا تفعل فى الحالات الآتية
الطهارة - الصلاة - أحكام السهو
٧ - أهوال يوم القيامة
٨ - رسالة إلى كل مسلم
٩ - جمع الحسنات
١٠ - حصن المسلم
١١ - المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج
١٢ - شرح الصدور بأسباب النجاة من عذاب القبور
١٣ - القبر عذابه ونعيمه
١٤ - شجاعة الرسول
١٥ - أركان الإسلام والأسرة
١٦ - فتاوى وأحكام فى الزكاة والصيام
١٧ - الخلع فى ضوء القرآن والسنة
١٨ - مناسك الحج والعمرة
١٩ - رحلة الإسراء والمعراج
٢٠ - علامات الساعة العشرة الكبرى
٢١ - هداية العباد فى التداوى بالأعشاب
٢٢ - العالم ينتظر ثلاثة : الدجال - المهدى - عيسى ابن مريم
٢٣ - كيف تنتصر على الشيطان.

* * *

الفهرس

الموضوع | الصفحة

